المحيط المجتمعي و أثره على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام في القرآن الكريم - دراسة تحليلية

أ. عبده محمد علي البرح

باحث دكتوراه - قسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية - كلية الآداب - جامعة إب .

albareh85@gmail.com

تاريخ الاستلام:
٢٠٢٤/٥/٢٧م
القبول:
٢٠٢٤/٦/٢٢م
تاريخ النشر:
٢٠٢٤/٧/١م

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة المحيط المجتمعي وأثره على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام في القرآن الكريم سلبًا أو إيجابًا، وعن طبيعة المجتمع وأثره في أساليب دعوة الأنبياء، وقد طبق الباحث المنهج الوصفي التحليلي والاستقرائي، وقد قسمتُ البحث إلى مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، فالمبحث الأول: الأسس المفاهيمية للبحث، وفي المبحث الثاني: تناولت المحيط الأسري وأثره في دعوة الأنبياء والرسل، وجاء المبحث الثالث: عن المحيط المجتمعي وأثره على دعوة الأنبياء والرسل، وفيه أنواعه، وأخيرًا جاء المبحث الرابع: بعنوان طبيعة التفكير السائد في محيط الأنبياء، وتوصلت إلى أهم النتائج الآتية:

١. يتكون المحيط المجتمعي من الأسرة، والمجتمع، وهما ميدانا دعوة الأنبياء والرسل.
٢. ويختلف التعامل الأسري من أقارب الأنبياء، فبعضهم وقف موقفًا إيجابيًا والآخر موقفًا سلبيًا.
٣. حصلت اختلالات أسرية مثل الحسد والبغضاء، ولربما وصل إلى القتل أو التغييب القسري.
٤. وكان لتنوع طبيعة تفكير أقوام الأنبياء أثرٌ كبيرٌ في دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام.
٥. تنوع محيط الأقوام من محيط صالح، ومحيط فاسد اضطهادي ديني أو اجتماعي أو أخلاقي أو اقتصادي، وكان له أثر كبير على دعوتهم.

الكلمات المفتاحية: المحيط المجتمعي، الدعوة، الأنبياء والرسل، القرآن الكريم.

الإحالة: البرح، أ. عبده محمد علي. المحيط المجتمعي وأثره على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام في القرآن الكريم - دراسة تحليلية . مجلة القلم للعلوم الإنسانية (علميَّة - دوريَّة – محكَّمة) ١١ (٤٣) ، ٢٠٢٤، ٥٤-١٠٠.

Social environment and its impact on prophets and messengers' Dawah in the Holy Qur'an: An analytical study

Mr. Abdo Muhammad Ali Al-Barah

PhD Student, Department of the Holy Qur'an Sciences and Islamic Studies, Faculty of Arts, Ibb University.

Received (date): 27/05/2024
Accepted (date): 22/06/2024
Published (date): 01/07/2024

Abstract:

This article aims to study the social environment and its impact on prophets and messengers' Dawah, negatively or positively, determining the society nature and its impact on the methods of prophets' Dawah. The study employs the descriptive, analytical and inductive approach. It is divided into an introduction, four sections, and conclusion. Section 1 addresses the conceptual foundations of the research. Section 2 tackles the family environment and its impact on prophets and messengers' Dawah. Section 3 presents the social environment including its types. Section 4 entitled the nature of prevailing the thinking of the environment of the prophets. The study concludes that:

1. Social environment consists of family and society, which are the fields of prophets and messengers' Dawah.
2. Family interaction with prophets' relatives varies: there are two positions, viz., positive stance and negative stance.
3. There have arisen some Family disputes including envy and hatred, perhaps leading to murder or forced absenting.
4. Nature diversity of thinking of the prophets' peoples had a great impact on the prophets and messengers' Dawah.
5. The people's environment varied including righteous, corrupt, oppressive religious, social, moral, or economic environment, which significantly impacted prophets and messengers' Dawah.

Keywords: Social environment, Dawah, prophets and messengers, the Holy Qur'an

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

إن للناظر في دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام منهجاً متكاملاً بيَّنه الله تعالى في كتابه الكريم نستلهم من قصصهم الدروس والعبر؛ لكي نسير عليه في حياتنا ودعوتنا وطريقة تربيتنا، وقد شملت الرعاية الربانية للأنبياء بحسب احتياج كل نبي ورسول من الرعاية والإعداد والتربية والإيواء، فكل واحد منهم سخر لهم مؤوياً وناصراً ومعيناً في حياتهم.

وتعد الأسرة المؤسَسَّة الأولى في إكساب الفرد المهارات، والسلوكيات، والميولات، والاتجاهات في المجتمع إما سلبًا أو إيجابًا، ولها أثر في دعوات الأنبياء، وقد جعل الله على الأبوين مسؤولية ما يصدر من الأهل والأولاد كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم:٦].

وإن المحيط المجتمعي يلعب دورًا كبيرًا في مناصرة الدعاة وحمايتهم من الأعداء في مختلف مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والمناصرة لهم وتأييدهم أفرادًا، وجماعة وسرًا، وجهرًا، وله أثر كبير على دعوتهم من حيث فهم الدعوة وطبيعتها وأساليبها، وقد شمل المحيط المجتمعي لدعوة الأنبياء والرسل المكون الأسري والمجتمعي، وأنواعه، وطريقة تفكيرهم، وأثر ذلك على دعوتهم، ومن هذا المنطلق رغب الباحث أن يكون هذا الموضوع عنوانًا لبحثه الموسوم بـ: **المحيط المجتمعي و أثره على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام في القرآن الكريم- دراسة تحليلية.**

-أهمية البحث:

١. الاستفادة من تعامل الأنبياء في محيطهم المجتمعي؛ لمعالجة الإخفاقات الحاصلة في الدعوات المعاصرة.

٢. إضافة دراسة جديدة لمكتبة التفسير، والدراسات القرآنية تتعلق بأثر المحيط المجتمعي على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

-أسباب اختيار البحث:

١. لا توجد بحوث عن المحيط الأسري والمجتمعي للأنبياء والرسل التي يسهم البحث فيه.

٢. حاجة الناس لمعرفة محيط الأنبياء والرسل عليهم السلام مع أقوامهم، والإفادة من ذلك في مجال الدعوات في عصرنا الحاضر.

٣. الرغبة في تخصص التفسير وعلوم القرآن، وموضوعات الدراسات القرآنية.

٤. افتقار المكتبة القرآنية إلى مثل هذا النوع من البحوث.

- مشكلة البحث:

١. ما مفهوم المحيط المجتمعي لدعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام؟

٢. ما مكونات المحيط المجتمعي، وأثرهما على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام؟

٣. ما أثر تنوع المحيط المجتمعي على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام؟

٤. ما أثر تفكير الأقوام على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام؟

-أهداف البحث: يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١. بيان مفهوم المحيط المجتمعي لدعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

٢. معرفة مكونات المحيط المجتمعي، وأثرهما على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

٣. بيان أنواع المحيط المجتمعي، وأثره على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

٤. توضيح أثر تفكير الأقوام على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

-منهج البحث:

اعتمد الباحث في هذا البحث ثلاثة مناهج رئيسيَّة، وهي الاستقرائي: والتحليلي، والوصفي.

-الدراسات السابقة:

بعد قيام الباحث بالبحث من خلال الوسائط والمواقع ذات الاختصاص تبين وجود عدد من الدراسات والأبحاث ذات الصلة تناولت موضوعات متشابهة مع بحثنا كان من أهمها:

١. **أثر البيئة الاجتماعية في الدعوة** رسالة ماجستير في الدعوة والاحتساب للطالب/ مسفر بن حسن القحطاني بإشراف الدكتور/ أحمد بن محمد بابطين عام ١٤٢٥هـ – ١٤٢٦هـ في جامعة محمد بن سعود كلية الدعوة والإعلام، الرياض حيث قسم الباحث رسالته إلى تمهيد وثلاثة فصول، فتناول فيها مفهوم البيئة وأهميتها، وأنواع البيئة، وعلاقة البيئة بالدعوة، وقد كانت مختصرة جدًا، وتناول في الفصل الأول: أثر البيئة الاجتماعية في الدعوة، وتشابه هذا الفصل مع بحثي إذ تناول أولي العزم من الرسل بطريقة وصفية مختصرة، وبحثي تناول جميع الأنبياء، وأما بقية الفصول فلا علاقة لها بمكونات بحثنا هذا، وقد تركزت على وصف مقومات وعوائق الدعوة في العصر الحديث، وكانت هذه الدراسة فكرية وليست تفسيرية.

٢. **البيئة الاجتماعية في المدينة و أثرها في انتشار الدعوة في العهد المدني** رسالة ماجستير في الدعوة في قسم الثقافة والدعوة عام ١٤٣١- ١٤٣٢هـ إعداد الطالبة/ سلطانة بنت عمر اللحياني، بإشراف أ. د. خالد بن عبد الله القرشي جامعة أم القرى كلية الدعوة قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، وقد قسمت الباحثة الرسالة إلى مقدمة وأربعة فصول: فتناولت في المقدمة التعريف

بالبيئة وأنواعها وعلاقتها بالداعية، وفي بقية الفصول تناول بيئة المدينة المنورة، وأثرها في إنجاح الدعوة المحمدية (المهاجرين والأنصار)، والمكونات الأخرى شمل الموالين والمعادين منها فضلًا عن تناول الدروس الدعوية المستفادة من البحث للداعي والمدعوين على حدٍ سواء.

٣. **البيئة الاجتماعية وتأثيرها في الدعوة** رسالة ماجستير في الدعوة في قسم الدعوة والثقافة الاسلامية لعام ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م للباحثة/ فاطمة الزبير علي الزبير، بإشراف أ. د/ محمد زين الهادي العرماني، جامعة أم درمان الإسلامية، قسم الدراسات النظرية، وقد قسمت الباحثة الرسالة إلى مقدمة، وثلاثة فصول: فتناولت في الفصل الأول: التعريف بالبيئة وأهميتها وتأثيرها، والصعوبات التي تواجه الداعية، وفي الفصل الثاني: تكوين التأثير الأسري في الدعوة بصفة عامة، وتأثير أفراد المجتمع ومؤسساته في الدعوة تأثير الإعلام في الدعوة، وتأثير الجماعات الإسلامية الدعوية وموجهات للداعية، كما في الفصل الثالث: حيث كانت دراستها حول البيئة الاجتماعية، وتأثيرها في الوقت المعاصر بصفة خاصة.

إن هذه الدراسات السابقة وعلاقتها المحدودة لم تلتق مع دراستي (المحيط المجتمعي وأثره على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام في القرآن الكريم) من حيث مفاهيمه، ومحيطه الأسري، والمجتمعي، وتركيبته، والتفكير السائد في المحيط الدعوي للأنبياء والرسل عليهم السلام كما يصوره القرآن الكريم فضلًا عن الآثار المترتبة عليه.

-حدود البحث:

المحيط الاجتماعي، وأثره على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام في القرآن الكريم.

هيكل البحث: وقد قسمتُ البحث إلى مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.

المقدمة، وفيها: أهمية البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، ومنهجه، ودراساته السابقة، وحدوده، وهيكله.

المبحث الأول: التعريف بعنوان البحث ومصطلحاته، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المحيط المجتمعي لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: تعريف الدعوة لغة واصطلاحًا.

المطلب الثالث: تعريف الأثر لغة واصطلاحًا.

المبحث الثاني: المحيط الأسري و أثره على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الأسرة لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: المحيط الأسري لآدم ونوح عليهما السلام.

المطلب الثالث: المحيط الأسري للأنبياء والرسل من عهد إبراهيم إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثالث: المحيط المجتمعي و أثره على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أنواع المحيط المجتمعي وأثره على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

المطلب الثاني: التركيب المجتمعي وأثره على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

المبحث الرابع: التفكير السائد للأقوام و أثره على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

الخاتمة، وفيها: النتائج، والتوصيات.

واللهَ أسالُ أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، موصلًا لجناته جنات النعيم.

المبحث الأول: التعريف بعنوان البحث ومصطلحاته:

المطلب الأول: تعريف المحيط المجتمعي لغة واصطلاحًا:

أولًا: تعريف المحيط لغة واصطلاحًا:

أ. **المحيط لغة:** اسم فاعل من أحاط ببيئة، وهو وسط يقيم به الإنسان، والمرء نتاج محيطه الاجتماعي، والمحيط: اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الذي أحاطت قدرته وسعة علمه بجميع خلقه كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩﴾ [البقرة: ١٩] لا يعجزه أحد، وقدرته مشتملة عليهم، وحاط فلانًا أي: حفظه، وصانه، وكلأه، ورعاه، وذب عنه، وتوفر على مصالحه، وتعهده بجلب ما ينفعه ودفع ما يضره[١].

ب. **المحيط اصطلاحًا:** وعرفه الجرجاني بقوله: "أصل المحيط المطيف بالشيء من حوله بما هو كالسور الدائر عليه يمنع أن يخرج عنه ما هو منه، ويدخل فيه ما ليس فيه"[٢]، وهذا تعريف للحائط والسور، ولم يدخل فيه الإنسان وتأثيره في الحياة.

ويمكن تعريف المحيط: بأنه "الوسط الذي يولد فيه الإنسان، وينشأ فيه، ويعيش خلاله حتى تنتهي حياته"[٣].

ثانيًا: تعريف المجتمع لغة واصطلاحًا:

أ. المجتمع لغةً: فالمجتمع مشتق من الفعل جمع قال ابن فارس: الجيم والميم والعين أصل واحد، يدل على تضام الشيء، والمجتمع أصله كل ما تجمع وانضم بعضه إلى بعض، وهو موضع الاجتماع والجماعة من الناس[٤]، والعرب تقول: المجتمع بيوت الحي[٥]، فالمجتمع في اللغة يقصد به جمع المتفرق، والانضمام، والاجتماع، والاختلاط، ويأتي على تجمع الناس في مكان واحد.

ب. المجتمع اصطلاحًا:

هو مجموعة الأفراد التي تتشابه بالأفكار والمعتقدات والآراء واللغة والتقاليد والأعراف، ويعيشون داخل منطقة جغرافيّة محدّدة، كما تربطهم علاقات اجتماعيّة تولّد عمليّات التفاعل الإنسانيّ، حيث لكلّ فرد دور أو وظيفة معيّنة، تعمل على بناء الهيكل الاجتماعيّ الشامل[٦]، وهذا تعريف شامل لجميع جوانب المجتمع من الأرض والناس وربط العلاقات فيما بينهم من حاكم ومحكوم.

ثالثاً: تعريف المحيط المجتمعي.

وعُرف بأنه: البيئة التي يحدث فيه الإثارة، والتفاعل لمن يعيش في ظله من أفراد المجتمع[٧]، فشمل بذلك الأرض، والمسكن، والسُكان.

وجاء في تعريفه: بأنه المحيط الذي يجتمع فيه أفراد الأسرة، والمجتمع المحلي داخل منطقة جغرافيّة محدّدة، ولهم أثر معين أو معيق على دعوة الحق[٨]، وهذا التعريف أقرب من وجهة نظر الباحث؛ لأنه يتوافق مع البحث ومجتمع الدراسة التي تهدف إليه.

المطلب الثاني: تعريف الدعوة لغة واصطلاحًا.

أولًا: الدعوة لغة: تأتي الدعوة في اللغة على معانٍ متنوعة منها: النداء، والدعاء، والطلب للشيء، أو الاشتراك فيه[٩]، والمعنى الاصطلاحي يُحدد المراد، وبغيره يبقى المعنى شاملًا، والمقصود بها في هذا الباب معنيان، الدعوة بمعنى: التبليغ والبيان، ونقل هداية الله إلى الناس.

ثانيًا: الدعوة اصطلاحًا: فمفهوم الدعوة من الألفاظ المشتركة، فإنها ترجع إلى معنيين:

الأول: بمعنى الإسلام، **والثاني:** طريقة تبليغ الإسلام، والمقصود من دراستنا المعنى الثاني.

وقد عرفت الدعوة اصطلاحًا: بأنها قيام من له أهلية، بدعوة الناس جميعًا، في كل زمان ومكان؛ لاقتفاء أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتأسي به، قولًا، وعملًا، وسلوكًا[١٠]، **وكما عرفت:** بأنها إبلاغ الناس دعوة الإسلام، في كل زمان ومكان، بالأساليب والوسائل، التي تتناسب مع أحوال المدعوين[١١]، **وقيل:** إنها تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة[١٢]، وهذه التعريفات تبدو متقاربة، والأقرب للصواب التعريف الثاني حيث شمل أركان الدعوة كاملًا من المحتوى، والداعية والمدعو، والوسائل، والأساليب، وهو الذي يذهب إليه الباحث ويرجحه.

المطلب الثالث: تعريف الأثر لغة واصطلاحًا.

أولًا: الأثر لغة:

بقيّة ما يرى من كل شيء، وما لا يرى بعد ما يبقى علقة، والهمزة والثاء والراء، له ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي، والأثر مصدر قولك: أثرت الحديث إذا ذكرته عن غيرك، ومنه قيل: حديث مأثور، أي: ينقله خلف عن سلف[١٣].

وخلاصة القول أن للأثر ثلاثة معانٍ: يأتي بمعنى النتيجة، وهو الحاصل من الشيء، ويأتي بمعنى العلامة، ويأتي بمعنى الجزء(١٤)، وزاد بعضهم أنه يأتي بمعنى الخبر(١٥).

ثانيًا: الأثر في استعمال القرآن الكريم والسنة النبوية لفظًا ودلالة ومن ذلك:

يستعمل الأثر في القرآن الكريم، والسنة النبوية لمعان عدة، منها:

١. بقية الشيء كقوله تعالى: ﴿ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤ ﴾ [الأحقاف: ٤]، قيل: أثارة من علم: بقية من علم (١٦).

٢. قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ ﴾ [يس: ١٢]، وسبب نزول هذه الآية: ما جاء عن أنس رضي عنه "أن بني سلمة أرادوا أن يتحولوا عن منازلهم، فينزلوا قريبًا من النبي صلى الله عليه وسلم قال: فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة فقال:(ألا تحتسبون آثاركم) أي: خطاهم آثارهم أن يمشوا في الأرض بأرجلهم(17).

والأثر يرجع في معناه -كما ورد في القرآن والسنة وكتب اللغة- إلى عدة معانٍ منها: بقية الشيء، العزم في فعل الشيء، واقتفاء الأثر، والخبر، والمأثور، والعلامة، وتفضيل الغير على النفس.

ثالثًا: تعريف الأثر اصطلاحًا:

وبالجملة معنى الأثر هو نتيجة لشيء دل على عدة معان:

الأول: بمعنى النتيجة، وهو الحاصل من الشيء، والثاني: بمعنى العلاقة، وهو السمة الدالة على الشيء، والثالث: يطلق على كلام السلف على نقلهم، والرابع: هو ما يترتب على الشيء، وهو المسمى بالحكم عند الفقهاء(١٨).

المبحث الثاني: المحيط الأسري و أثره في دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام:

المطلب الأول: تعريف الأسرة لغة واصطلاحًا:

أولًا: تعريف الأسرة لغة: مشتقة من الأسر وهو القد الذي يشد به المحمل، والأسر الدرع الحصينة، وأسرة الرجل عشيرته ورهطه الأدنون؛ لأنه يتقوى بهم(١٩)، وأهل الرجل عشيرته، ورب الأسرة: عائلها والمسؤول عنها، وهي: الجماعة يربطها أمر مشترك(٢٠).

ثانيًا: تعريف الأسرة اصطلاحًا: يقصد به الوحدة الاجتماعية الأولى التي تحفظ النوع الإنساني كله، وتتألف الأسرة من رجل وامرأة يرتبطان معًا بعلاقة زواج شرعي، وينتج عن هذه العلاقة الأولاد(٢١)، وأقرب من هذا التعريف من عرفها بقوله: هي "الروابط الاجتماعية التي تتكون من زوجين وأطفالهما، وتشمل الجدين وبعض الأقارب"(٢٢).

وتعد الأسرة ومكوناتها من أساس المجتمع، ولبنة من لبناته، ومن معينات الأنبياء والرسل عليهم السلام في دعوتهم، وهي واحدة من العوامل المؤثرة الفاعلة في الحياة الاجتماعية، وهي من أساس البناء الكوني في الأرض ومن أبنية المجتمعات، وإن كان مصطلح الأسرة لم يرد في كتاب، ولا سنة، فهو موجود في الواقع العملي، ولا يمكن القول إنه لم يستخدمها القرآن والسنة لفظيًا، أو لم يستخدم ضمنيًا، أو أنه لا يوجد لها أثر في كتب الفقه أو بقية التراث، ولكنها كانت مستخدمة بألفاظ أخرى مثل: الآل، والأهل كما في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود: ٧٣]، وواضح أن المقصود بكلمات أهليكم، وأهل البيت في الآيات القرآنية هو الأسرة المكونة من الزوجة، والأبناء والبنات، والفرد يتلقى الحماية والرعاية الأولى المستمدة من الأسرة إلى أن يصل مرحلة الحلم والرشد، فتتكون شخصيته من الأسرة، ثم المحيط الذي حوله من العشائر، ثم مؤسسات البيئة الاجتماعية الأخرى بعد ذلك، ثم يصير مؤثرًا في أسرته وعشيرته وقبيلته؛ بل ومجتمعه إذا تميزت شخصيته وقدراته العقلية والنفسية والفكرية بفضل عوامل إضافية أخرى، وهذا دأب الشخصيات التاريخية ذات الكارزمية القومية كأمثال الأنبياء والمصلحين، والفلاسفة، والمفكرين، والزعماء السياسيين، والعسكريين عبر تاريخ البشرية، كما أن سيرة حياة الأنبياء والرسل عليهم السلام الذين ذكروا في القرآن الكريم تحدثنا عن دور المكون الأسري وعلاقته بدعوتهم، وهم: الوالدان، والأولاد والزوجة، والأقارب، والبعض لم يذكرهم القرآن صراحة، لكن يفهم ذلك عنهم ضمنًا.

فالأسرة اللبنة الأولى للفرد في تكوين شخصيته، وميوله، ومحل الاقتداء، والتقليد فيما بين الأسرة الواحدة، ومن خلال دراستنا سنبين كيف كان المحيط الأسرى فاعلًا، وحاضرًا في حياة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

المطلب الثاني: المحيط الأسري و أثره على دعوة آدم، ونوح عليهما السلام.

أولًا: آدم عليه السلام.

إن أول ما خلق الله آدم عليه السلام وتكونه بمراحل مختلفة، حيث خلقه الله وحيدًا، ثم خلق زوجه حواء ليأنس بها، ويطمئن إليها، وتصبح له زوجة، وتكون مساعدة له في أمور الحياة، وجعلها سببًا لتناسل البشرية، والتكاثر عن طريق التزاوج إلى يوم القيامة، وهكذا جرت سنة الله في استمرار الحياة بالتناسل من ذكر وأنثى في جميع المخلوقات، وهكذا تتكون الأسرة من أب وأم

وأولاد كما قال الله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ٣٥]،، وقال تعالى: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ [طه: ١١٧] ، وهناك من قال: إن حواء هي التي سارعت إلى ذلك، وكانت معه في النهي، فلما رآها آدم عليه السلام أكلت من الشجرة أكل مثلها[٢٣]، واستدلوا على ذلك بحديث: (ولولا حواء لم تَخن امرأة زوجها)[٢٤] قال ابن كثير: "وكانت حواء أكلت من الشجرة قبل آدم عليه السلام، وهي التي حثته على أكلها، والله أعلم، وعليه يحمل الحديث"[٢٥].

ويرى السعدي أنها حسَّنت له الأكل من الشجرة حين وسوس لهما الشيطان، فاجتمع على آدم تغرير الشيطان وتسويله، وتحسين زوجه له، فوقع الأكل، ولكن تاب الله عليهما حينما تابا وندما[٢٦].

وقيل: نسي آدم عليه السلام عهد ربه، ولم يكن له من العزم ما يصرفه عن متابعة امرأته، ويعتصم به من تأثير شيطانه بناء على أنها هي التي زينت له الأكل من الشجرة، والمراد أن المرأة فطرت على تزيين ما تشتهيه للرجل، ولو بالخيانة له[٢٧].

إلا أن هذه الأقوال لا دليل عليها من الكتاب أو السنة ما يدل عليها صراحة، وإنما الذي يدل عليه القرآن صراحة أن آدم عليه السلام وزوجه قد آكلا من الشجرة معًا، وكان ذلك بوسوسة وتزيين الشيطان لهما معًا، ويدل أن زوجه تابعة له كذلك كما قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ [طه: ١٢٠ - ١٢١] فدلَّت هذه الآية على أن آدم عليه السلام هو الذي سبق زوجه بالأكل[٢٨].

ولقد كانت زوجه حواء لها أثر كبير في مساعدته على أمر الله تعالى بعدم الأكل من الشجرة حيث عاشت معه في الجنة يأكلان من كل الأشجار والثمار والفواكه المتنوعة مختلفة الألوان والمذاق، ويجاهدان أنفسهما على ألا يقربا تلك الشجرة- التي جعلها الله لهما اختبارًا وامتحانًا-، فوسوس وزيَّن لهما إبليس، فوجد فرصته وانقلب لهما ناصحًا لينفذ إليهما، فزين لهما الأكل من الشجرة، وهنالك عرف الضعف عند آدم وزوجه خاصة، والجنس البشري عامة كما قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠ - ٢١]، وعندئذ عرفا أن الشيطان خدعهما، وكذب عليهما وزين لهما الأكل من الشجرة كما قال تعالى: ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا

ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٢] هنالك بانت الحقيقة، وظهر الحق بكذب إبليس عليهما.

فأما خيانة حواء لآدم عليه السلام كما جاء في الحديث إنما هو لما رأته قد عزم على الأكل من الشجرة تركت نصحه في نهيه عن الأكل؛ لأن ترك النصح له خيانة، فعلى هذا كل من رأى أخاه المؤمن على سبيل ذلك فترك نصحه بالنهي عن المنهي عنه، فلا يخرجه عن تسميته بالخائنين كما في قوله تعالى عنهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأنفال: ٥٨] اللهم إلا أن يسكت تقية، فذلك له حكم تعلق به(٢٩).

وقيل: فإنها كانت في ترك النصيحة في أمر الشجرة لا في غير ذلك، والمراد أن بني إسرائيل لما نهوا أن يدخروا فخالفوا، فَسُد اللحم، واطردت الحال فيه عند كل مدخر، ولما خانت حواء زوجها اطردت الحال في بناتها(٣٠)، والصواب أن الله تعالى تاب عليهما، وقَبِل توبتهما كما بيَّن ذلك بقوله تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البقرة: ٣٧]؛ بل اصطفه الله تعالى من بين سائر المخلوقات، وفضله على جميع بني آدم في ذلك الزمان، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٣] أي: إن الله اختار هؤلاء وجعلهم صفوة العالمين بجعل النبوة والرسالة فيهم، فأولهم آدم عليه السلام، وهو أبو البشر اصطفاه ربه واجتباه كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [طه: ١٢٢]، وكان من ذريته النبيون والمرسلون(٣١).

فالأصل أن زوجات الأنبياء والرسل عليهم السلام معينات لأزواجهن فيما هو من شأن الحياة الدنيا والدين، وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ولولا حواء لم تَخن امرأة زوجها)(٣٢) أنه لا يقصد بهذا الحديث خيانة الفراش، وإنما المقصود "تسلية الرجال فيما يقع لهم من نسائهم، بما وقع من أمهن الكبرى، وأنَّ ذلك من طبعهنَّ، فلا يُفْرِط في لوم مَن وقع منها شيء، من غير قصد إليه، أو على سبيل الندور، وينبغي لهنَّ ألا يتمسكنْ بهذا في الاسترسال في هذا النوع بل يضبطنْ أنفسهنْ ويجاهدنْ هواهنَّ، والله المستعان"(٣٣).

وقد كان لآدم عليه السلام أولاد وذرية من بعده، يساعدنه في القيام بمهام الدعوة ولهم الأثر الكبير كقابيل وهابيل كما قال تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا

وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المائدة: ٢٧]، فخلق الله أباهم آدم عليه السلام من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى من ضلع آدم عليه السلام، وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى، إلا عيسى عليه السلام، فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر بقدرته تعالى، ولحكمة شاءها، فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه، فكل ما تعلقت إرادته بإيجاده أوجده، وكل ما تعلقت إرادته بإعدامه أعدمه لا راد لمشيئته، ولا معقب لحكمه، ولا حائل دون نفاذ قدرته[٣٤]. فقد كانا ولدا آدم عليه السلام في قربى وطاعة حيث وقفا بين يدي الله موقفًا للتقرب لولا أن الشيطان سول لأحدهما فعل المعصية وهي القتل التي سنها إلى يوم القيامة وجرى بينهما حوار وسجال على قضية القتل كما يصورها لنا القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المائدة: ٢٧] ثم شدد عليهما فعلهما (قتل أحدهما للآخر)؛ لأنه قتل للأخوة من أول الأمر، وما يزالا في بداية الحياة فقال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [المائدة: ٣٢]، وإن نظام الأسرة بينه الله في دينه وشرائعه، وكما هو الحال في النظام الطبيعي الفطري المنبثق من أصل التكوين الإنساني، بل في أصل تكوين الأشياء كلها في الكون، فالأسرة هي المحضن الطبيعي الذي يتولى حماية الفراخ الناشئة ورعايتها وتنمية أجسادها وعقولها وأرواحها، وفي ظله تتلقى مشاعر الحب والرحمة والتكافل، فتكونت الأسرة الأولى من ذكر وأنثى[٣٥]. وإن المحيط الأسري في عهد آدم عليه السلام كان قد شابه الحسد من إبليس حتى أوقع آدم عليه السلام وحواء في الأكل من الشجرة، وكذلك ما حصل بين الأخوين من شحناء وحقد حتى وقع أحدهما ضحية القتل ومفارقة الحياة الدنيا نتيجة تسويل الشيطان، وإيقاع العداوة فيما بينهما في محيطهم الأسري مما كان لهذا الفعل الشنيع –القتل والحسد بين الأخوة- الأثر السلبي على دعوة آدم عليه السلام بل لحق ذريته من بعده بما سن لهم سنة سيئة وهي القتل التي له كفل منها إلى يوم القيامة كما في الحديث[٣٦].

ثانيًا: نوح عليه السلام:

إن المحيط الأسري الذي عاش فيه نوح عليه السلام مع زوجته كان يشوبه عدم الانسجام فيما بينهما حتى إنها لم تؤمن بدعوته وكانت تسرب الأخبار لقومها مما يحصل في بيت نبي الله نوح عليه

السلام؛ ولذلك ضرب الله بها وبامرأة لوط المثل في الحياة غير المستقيمة لاختلال شرط التوافق الديني حتى التعبير القرآني جاء بلفظ المرأة، ولم يكن بلفظ الحياة الزوجية التي تدل على الانسجام في الحياة، والتوافق في الدين قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [التحريم: ١٠] إن المأثور في تفسير الخيانة أنها كانت خيانة في الدعوة، وليست خيانة الفاحشة، فامرأة نوح عليه السلام كانت تسخر منه مع الساخرين من قومه، وامرأة لوط عليه السلام كانت تدل القوم على ضيوفه، وهي تعلم شأنهم مع ضيوفه [٣٧]، وقيل: إن امرأة نوح عليه السلام كانت تقول: زوجي مجنون، وأما امرأة لوط عليه السلام كانت تدل الناس على ضيفه إذا نزلوا به[٣٨]، وقيل: مخالفة الحق نقضًا للعهد بما صدر عنهما من كفر وعصيان، ونقضهما الأمانة[٣٩]، وقيل: إن المراد بالخيانة في الدين[٤٠]، فلا كرامة، ولا شفاعة في أمر الكفر والإيمان، وأمر الخيانة في العقيدة حتى لأزواج الأنبياء! وامرأة فرعون لم يصدها طوفان الكفر الذي تعيش فيه بقصر فرعون، وقد تبرأت من صلتها بفرعون وعمله، وقصره مخافة أن يلحقها من عمله شيء، حيث كانت ألصق الناس به، فطلبت من ربها النجاة، وأن يبني لها بيتًا في الجنة[٤١]. وفي ابتلاء الله تعالى لنوح ولوط عليهما السلام في امرأتيهما حِكَم منها: تسلية وتعزية من ابتُلي بزوجة مخالفة له، ومنها أنَّ الهداية لا يملِكُها النبي فضلًا عن غيره؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص: ٥٦]، ومع هذا لا ينبغي للزوج أن يترك بذل الأسباب في هداية زوجته.

وإن نوحًا عليه السلام كان له أبناء كما قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ ﴾، ونادى نوح عليه السلام ابنه الذي هلك فيمن هلك، ولقد رأى نوح عليه السلام من صدق موعد ربه ما رأى، فقال: ﴿ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [هود: ٤٢]، وكان شقيًا قد أضمر كفرًا[٤٢]، وقال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [هود: ٤٥]، وإننا بعد آلاف السنين، لنمسك أنفاسنا - ونحن نتابع السياق - والهول يأخذنا كأننا نشهد تلك السفينة، وهي تجري بهم في الأمواج كالجبال، كما قال تعالى: ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ ﴾ [هود: ٤٢]، ونوح عليه السلام الوالد الملهوف يبعث بالنداء تلو النداء، وابنه الفتى المغرور يأبى إجابة الدعاء، والموجة الغامرة تحسم الموقف في سرعة خاطفة راجفة وينتهي كل شيء، وكأن لم يكن دعاء ولا جواب! إن الوشيجة[٤٣] التي يتجمع عليها الناس في هذا الدين وشيجة

فريدة تتميز بها طبيعة هذا الدين، كما قال الله تعالى عن نوح عليه السلام وهو يقول: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾ [هود: ٤٥] فقال الله له: ﴿قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ ثم بين له سبب ذلك؟ فقال: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ﴾ إن وشيجة الإيمان قد انقطعت بينكما يا نوح: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [هود: ٤٦] فأنت تحسب أنه من أهلك، ولكن هذا الحسبان خاطئ(٤٤).

وإن الذين نجوا من قوم نوح عليه السلام، وثلاثة من صالحي قوم نوح عليه السلام، وأولاده الثلاثة كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الصافات: ٧٧ - ٧٩]، فالذي آمن مع نوح عليه السلام، ونجوا معه في السفينة، وهم أولاده الثلاثة كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [هود: ٤٠] فنجي نوح عليه السلام مع أولاده الثلاثة، وهلك ابنه -الذي أبى الركوب معه- مع الهالكين، فحرم بركة صحبة أبيه بالنجاة في السفينة، والإيمان بالله تعالى، والعذاب في الآخرة، وبيان الكلام السابق يؤكد تأثر دعوة النبي بمحيطه الأسري سلبًا وإيجابًا.

المطلب الثالث: محيط الأنبياء والرسل الأسري و أثره على دعوة الأنبياء من عهد إبراهيم إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أولًا: إبراهيم عليه السلام:

إن المحيط الأسري الذي عاش فيه إبراهيم عليه السلام مع زوجته سارة محيط فيه توافق وتعاون وانسجام فيما بينهما، حتى هاجرت معه من العراق إلى الشام هروبًا من الحياة التي كان يعيشها قومهم حيث كانوا يعبدون الأصنام والكواكب والنجوم وغيرها من تأليه البشر، وقال الله تعالى في شأنهما: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الذاريات: ٢٨ - ٣٠]، وفيه أنه معه أسرة مكونة من زوجة، وذرية من بعده، وأحفاد كما قال تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾ [هود: ٧١]، ومن أقاربه لوط عليه السلام ابن أخيه من آمن به، وهاجر معه إلى بلاد الشام كما قال تعالى: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، وكذلك حزن عليه عندما جاءت الملائكة أن تستأصل قومه كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ

عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [هود: ٧٤] ؛ بل شغله عن البشرى التي سيقت له في نفس السياق القرآني الذي جاءت بها الملائكة كما قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ ﴾ [العنكبوت: ٣١ – ٣٢]، ويدخل إعانة هاجر أم إسماعيل سيرة إبراهيم عليه السلام هي وابنها لإبراهيم عليه السلام على دعوته وبنى البيت الحرام وسفره إلى الشام مرة أخرى للقيام بواجب الدعوة على أكمل وجه.

ولكن تبقي الإشارة إلى أن هنالك عداوة لدعوة إبراهيم عليه السلام من أقرب الناس إليه وهو أبوه كما أخبر الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٤]، وقال تعالى عن حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه، ومحاولة اقناعه، وكسبه إلى صفه: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾ [مريم: ٤٢ - ٤٦] لقد كان دور والد إبراهيم عليه السلام وموقفه السلبي والمعادي من دعوة ابنه إبراهيم عليه السلام له أثر على دعوة قومه عندما كان في العراق موطنه الأصلي حيث صدهم عن سبيل الله، ووقف في وجهه، حتى جرَّأ القوم على صد إبراهيم عليه السلام عن نشر دين الله بين الناس، ووصل به الحال إلى أن قرر الهجرة مع ابن أخيه لوط عليه السلام إلى بلدان أخرى لعلهم يجدون من يؤمن بهم، ويناصر دعوتهم، ويستجيب لرسالاتهم، وقد وقف زوجته، وأولاده، وابن أخيه إلى جانبه مساندين لدعوته حتى توفاهم الله تعالى، وجاء من بعده أحفاده وذريته إلى قيام الساعة.

ثانيًا: لوط عليه السلام:

ويحدثنا الله عن المحيط الأسري لنبي الله لوط عليه السلام حيث كان محيطًا منعدم الانسجام مع زوجته حتى جاء التعبير القرآني بالمرأة في كل سياق قصة نبي الله لوط عليه السلام، ولم يعبر بالزوجة التي تدل على الانسجام والتوافق بينهما، وقد أثني الله على بناته بوقوفهن معه في دعوته، وقد صرح تعالى بأن قوم لوط عليه السلام ليس فيهم مسلم إلا أهل بيت واحد وهم أهل بيت لوط عليه السلام (٤٥) كما قال تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٣٥ -٣٦]، ومن سيرة نوح ولوط عليهما السلام والظروف الأسرية التي أحاطت

بهما من قِبل زوجتيهما، وبعض أولاد نوح عليه السلام كان له الأثر السلبي على نوح ولوط عليهما السلام في دعوتهما الناس إلى الله، ومثلت هذه الظروف نقطة ضعف عليهما، وسيرتهما الدعوية إلى الله إلى أن أنزل الله عقابه على قومهما، وشمل زوجتيهما، وبعض أولاد نوح عليهم السلام. قال تعالى عن بنات لوط عليه السلام: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الحجر: ٥٧ – ٦٠] غبرت، أي: غابت، فكانت من الغائبين عن لوط وأهله وقت العذاب، وقيل: من الباقين في العذاب(٤٦)، وقال الله تعالى: ﴿ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [الشعراء: ١٧١] هي امرأة لوط مقدرة في الباقين في العذاب إذ أصابها حجر في الطريق فأهلكها، لأنها كانت مائلة إلى القوم راضية بفعلهم، وقيل: كائنة فيمن بقي في القرية فإنها لم تخرج مع لوط عليه السلام(٤٧)، فهي من الهالكين، ولا كرامة لها، وللخائنين لدين الله تعالى وأنبيائه.

ثالثًا: يعقوب عليه السلام وأولاده:

إن المحيط الأسري في عهد نبي الله يعقوب عليه السلام في أمن وأمان دعوي حيث كان من أبناء النبوة فأبوه إسحاق عليه السلام نبي وهو ابن إبراهيم عليه السلام، فالمحيط كله متجانس ومنسجم ومتعاون فيما بينهم وهكذا في أولاده الأسباط، إلا أنه دب إلى قلوبهم الحسد على أخيهم يوسف عليه السلام، فصنعوا له المكائد والحيل للتخلص منه، وقلب يوسف عليه السلام في كامل طهارته، وكان في غفلة من ظنون الحسد، والكيد، والخديعة لا يدري ما يدبر له من مكيدة؛ لإبعاده عن أبيه حيث لم يلبث إلا قليلًا حتى أعلنوا قرار القطيعة بقولهم: ﴿ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾، والغاية من هذه الجريمة: ﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ ، ثم يقررون التوبة والعزم عليها: ﴿ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [يوسف: ٩] يبدؤون حياة جديدة مع أبيهم حين لا يوجد من يكدر عليهم حياتهم، وذلك أن يوسف عليه السلام قد كان تربع في قلب أبيهم، واستولى عليه؛ ولكنهم عوقبوا بنقيض قصدهم أن زاد حب أبيهم ليوسف حال غيابه.

ونلحظ الأثر الاجتماعي الإيجابي في أخوة يوسف لم يكونوا مجمعين على قتله، حيث بقي واحد منهم من يدفعهم عن القتل-فبعض الشر أهون من بعض- وذلك باقتراح أخوهم الأكبر نصيحة وهي: عدم قتله ووضعه في الجب يأخذه المارة كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ [يوسف: ١٠] ويستنبط من هذا أن فيها أثر

على إعانة يوسف عليه السلام باستبقائه، وعدم قتله، وإزهاق روحه بالكلية، وهذه من ألطاف المولى به التي لا تخطر على بال.

ومنها أن العبرة في حال العبد بكمال النهاية لا بنقص البداية، وذلك أن إخوة يوسف عليه السلام جرى منهم ما جرى من هذه الجرائم، لكن في آخر أمرهم ونهايته تابوا إلى الله، وطلبوا السماح من أخيهم يوسف، ومن والدهم الاستغفار، فحصل لهم السماح التام، والعفو الكامل، فعفا الله عنهم، وأوصلهم إلى الكمال اللائق بهم، قيل: جعلهم أنبياء، وقيل: قومًا صالحين، بمنزلة الكواكب في إشراقها، وعلوها، وهذه صفة أهل العلم، والإيمان والله أعلم، ولهذا تفسر الكواكب بالعلماء والصالحين، وقيل: تفسر بالملوك(٤٨).

رابعًا: موسى عليه السلام:

قال الله تعالى عن موسى وأخيه هارون عليهما السلام: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾ [مريم: ٥٣] فكان هارون عليه السلام نبيًا ورسولًا، ووزيرًا، والوزير هو العون والعضد(٤٩) وقوله: نبيًا حال من هارون عليه السلام، أي: حال كونه نبيًا من أنبياء الله عز وجل(٥٠)، ومعنى الآية: ووهبنا لموسى عليه السلام من أجل رحمتنا له، وعطفنا عليه، فكان هارون عليه السلام معه وزيرًا من أهله نبيًا معينًا له في أداء رسالته، فإنه كان أكبر من موسى عليه السلام بأربع سنوات(٥١)، فاستجاب الله دعاء نبيه موسى عليه السلام حيث قال: ﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ ﴾ [طه: ٢٩ - ٣٢]، فقد كانت زوجتا موسى وهارون عليهما السلام عامل نجاح في دعوة موسى عليه السلام، وتنفيذ محتوى رسالتهما ونبوتهما التي أوحاها الله إليه قال تعالى: ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ ﴾ [طه: ١٠] المقصود بالأهل هنا الزوجة حيث خرج في ليلة باردة مظلمة، والإيناس رؤية شيء يؤنس به(٥٢)، والمراد بالأهل هنا امرأته، والجمع لظاهر لفظ الأهل أو أراد التفخيم لمكانتها، وقيل: المراد بهم المرأة والولد والخادم، ومعنى امكثوا أقيموا مكانكم، وعبر بالمكث دون الإقامة؛ لأن الإقامة تقتضي الدوام والمكث ليس كذلك"(٥٣)، وقد كان جليًا في طلب موسى عليه السلام من ربه تعالى أن يعينه بمعين من قرابته، وهو أخوه هارون عليه السلام أن يكون نبيًا، وهي أكبر منَّة في التاريخ؛ كونه طلب من ربه أن يكون أخوه نبيًا، ومعينًا له في الدعوة، وأداء العبادات، ويتقوى به في إصلاح بني إسرائيل، ودعوة فرعون؛ وذلك أن الأعداء كثر، ووسائلهم وأساليبهم كثيرة، ومتعددة، قال تعالى: ﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [طه: ٢٩ - ٣٥]، فقال الله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ

هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾ [مريم: ٥٣] فكان هارون عليه السلام نبيًا ورسولًا، ووزيرًا، والوزير هو العون والعضد[٥٤]، وقوله: نبيًا حال من هارون عليه السلام، أي: حال كونه نبيًا من أنبياء الله عز وجل[٥٥]، فاستجاب الله تعالى دعائه حيث قال تعالى: ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ [طه: ٣٦ – ٣٧] لكل نبي ورسول في بدء بعثته، ظروف وأحوال مثيرة، وعجائب مدهشة، تتناسب مع العصر الذي يعيش فيه، وتتميز البعثة النبوية بالتكليف الإلهي الحاسم في تبليغ كل رسول رسالة ربه، ودعوته إلى عبادة الله، فهي صميم الرسالة وجوهر الدعوة، وفي هذه البداية طلب موسى من ربه في الجملة، أربعة أمور: شرح صدره، وتيسير أمره، وحل عقدة لسانه، وجعل أخيه هارون نبيًا ووزيرًا له، لتقوية أمره وتعاونه معه في أداء مهمته، ومشاركته في ذكر الله وعبادته، وصار مطلوب موسى بالتفصيل ثمانية أمور، أربع منها وسائل، وأربع أخرى غايات[٥٦]. وقوله تعالى: ﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا ﴾ أي: "معينًا، وإنما طلب موسى أخاه ليشد به أزره، أي يقويه، ويؤخذ منه الاستعانة على الأمور بمن هو أقوى"[٥٧]، ودلت الآية على أن النبوة كانت مشتركة بين موسى وهارون عليهما السلام، وكذلك المعجزات واحدة[٥٨].

ومن ضمن الأسباب في طلب موسى عليه السلام نبوة هارون أخيه معه كما قال ابن كثير: "نتعاون على تسبيحك، وذكرك؛ لأن التعاون مهيج الرغبات، ويتزايد به الخير، ويتكاثر ﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [طه: ٣٥] أي: عالمًا بأحوالنا، وبأن المدعو به مما يفيدنا"[٥٩]، وفي هذا إشارة إلى فضيلة التعاون في الدين، فإنه من أخلاق المرسلين عليهم السلام، والوزارة المتعارفة بين الناس ممدوحة إن زرع الوزير في أرضها ما لا يندم عليه وقت حصاده بين يدي ملك الملوك، وفيه إشارة إلى فضيلة التوسط بالخير للمستحقين لا سيما إذا كانوا من ذوي القرابة[٦٠].

وقال ابن كثير: "يؤنسني فيما أمرتني به من هذا المقام العظيم وهو القيام بأعباء النبوة والرسالة إلى هذا الملك المتكبر الجبار العنيد، ولهذا قال: ﴿ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾ [القصص: ٣٤] أي: وزيرًا ومعينًا ومقويًا لأمري يصدقني فيما أقوله وأخبر به عن الله عز وجل لأن خبر الاثنين أنجع في النفوس من خبر الواحد، ولهذا قال: ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾، وقيل في قوله: ﴿ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ﴾ أي: يبين لهم عني ما أكلمهم به، فإنه يفهم عني ما لا يفهمون"[٦١]، وقد كان لزوجة موسى عليه السلام ووالدها شعيب دور في دعم ومساندة موسى عليه السلام ودعوته إلى الله تعالى؛ وذلك في مدين وبعد رجوعهما إلى مصر

بعد أن أرسل إلى فرعون وزبانيته، وكذلك كان لأخيه هارون سند وعضد في مناصرة ومؤازرة موسى عليه السلام، وكذلك كان الأثر الكبير في إنجاح دعوة موسى عليه السلام للرجل المؤمن من أل فرعون، وزوجة فرعون وماشطة ابنته وغيرهم.

رابعًا: أيوب عليه السلام:

ويخبرنا الله تعالى عن أهل أيوب عليه السلام وأولاده في قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [ص: ٤٣]، وفيه أنها تكونت أسرة، وإن اختلفوا في أهله الذين وهبهم له عليه السلام، فعن ابن مسعود رضي الله عنه والحسن وقتادة: أهله بأعيانهم، وروي عن مجاهد: أحياهم بأعيانهم، ورد إليه مثلهم، وعن ابن عباس رضي الله عنهما عدة روايات منها: لما دعا أيوب عليه السلام استجاب الله له، وأبدله بكل شيء ذهب له ضعفين، رد إليه أهله ومثلهم معهم، وقيل له: إن شئت أحييناهم لك، وإن شئت كانوا لك في الآخرة، وتعطى مثلهم في الدنيا، فاختار أن يكونوا في الآخرة وعن الحسن قال: من نسلهم(٦٢)، وقال آخرون: بل آتاه المثل من نسل ماله الذي رده عليه وأهله، فأما الأهل والمال، فإنه ردهما عليه، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: رد عليه ماله وولده عيانًا، ومثلهم معهم، وقال وهب بن منبه أوحى الله إلى أيوب قد رددت عليك أهلك، ومالك، ومثلهم معهم(٦٣)، وقال السعدي: منحه الله العافية من الأهل، والمال شيئًا كثيرًا(٦٤).

واتفق الجمهور على أنه تعالى أحيا له من مات من أهله، وعافى المرضى، وجمع له من تشتت منهم(٦٥)، وقيل: وهبه من كان حيًا منهم، وعافاه من الأسقام، وأرغد لهم العيش، فتناسلوا حتى بلغ عددهم عدد من مضى، ومثلهم معهم، فكان له ضعف ما كان، والظاهر أن هذه الهبة كانت في الدنيا(٦٦)، ويتضح مما سبق أن الأسرة، والأهل كانت هي الرافد الأساسي، والداعم الحقيقي لنبي الله أيوب عليه السلام، وحماية دعوته، وتنفيذ رسالته، ومناصريه في قومه.

خامسًا: داود وسليمان عليهما السلام:

وقال تعالى عن داود وسليمان عليهما السلام: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ [النمل: ١٥ - ١٦]، وقال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [ص: ٣٠]، فكان الوالد وابنه دعمًا وعضدًا لبعضهما البعض، وأحدهما مكرمة للآخر، ومنّة من الله تعالى عليه.

سادسًا: زكريا عليه السلام:

إن المحيط الأسري الذي عاشه نبي الله زكريا عليه السلام كان محيطًا فيه الاستقرار الأسري والصفاء والنقاء؛ وذلك من خلال دور العبادة والمحاريب وإقامة المساجد والأمر بالتسبيح والحديث عن رزق الله تعالى والضمان الاجتماعي فيما بينهم القائم على كفالة بعضهم بعضًا كما قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: ٣٧]، فقوله: تقبلها أي: تكفل بتربيتها(٦٧)، فعندما علم قوم زكريا عليه السلام أن الحق لزكريا عليه السلام، فضمها إلى نفسه كما قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ قرأ الكوفيون بالتشديد أي: كفَّلها الله إلى زكريا، وقرأ الباقون بالتخفيف(٦٨) أي: ضمها زكريا إلى نفسه(٦٩) قال السدي وغيره: إن زكريا عليه السلام كان زوج ابنة أخرى لعمران(٧٠)، ويعضد هذا القول قول النبي صلى الله عليه وسلم في يحيى وعيسى: (ابنا الخالة)(٧١).

ودعاء زكريا عليه السلام أن يهب له غلامًا؛ ليكوِّن له أسرة مسلمة تساعده في حمل هم رسالته قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [آل عمران: ٣٨ - ٣٩]، فاستجاب الله له دعاءه فقال الله تعالى له: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾ [مريم: ٧]، ولقد كان الداعم والمؤازرة والمناصرة بين زكريا ويحيى ومريم وابنها عيسى عليهم السلام هي السمة السائدة للعلاقة بين أفراد هذه الأسرة النبوية الكريمة، ولولا الحماية الأسرية لمريم بنت عمران والدة المسيح عليه السلام التي منَّ الله بها عليها، وعلى ولدها لما سلمت من أذى بني إسرائيل وإذلالهم لها ولولدها، وزكريا وزوجه والدة يحيى عليهما السلام.

سابعًا: عيسى عليه السلام:

إن المحيط الأسري الذي عاشه نبي الله عيسى عليه السلام كان محيطًا فيه جو الإيمان فأمه بنت الرجل الصالح عمران بيت العبادة والطهارة والعفة والعبادة حيث كانت أمه مريم عليها السلام من العابدات القانتات حتى كانت منقطعة في بيت الله تعالى وتتردد عليها الملائكة بالرعاية والحماية والكفاية وجاءت لها بالبشرى كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [آل عمران: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ﴾ [النساء: ١٧١]،

وقال الله تعالى: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ [مريم: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [التحريم: ١٢] المحصنة سماها به من أجل: "صانته عن دنس المعصية"[٧٢].

ثامنًا: محمد صلى الله عليه وسلم:

ويحدثنا القرآن والسنة النبوية عن دور المحيط الأسري الأول للمصطفى صلى الله عليه وسلم في مناصرته ومؤازرته في دعوته، فكانت خديجة رضي الله عنها أول وأهم فرد في أسرته قامت بحمايته ودعمه، والإيمان برسالته تليها بناته اللاتي كن يناصرنه، ويدافعن عنه، ومن ذلك ابنته فاطمة رضي الله عنها يوم أن أزالت عنه سلا الجزور على ظهره، وهو يصلي جوار الكعبة، ومناصرة ومؤازرة علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في مكة حيث آمن به، وناصره ليلة الهجرة حيث نام على فراشه، وقام برد الأمانات إلى أصحابها التي وضعت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم هاجر بعده محبة وشوقًا في صحبته ومؤازرته.

ومن أعمامه من ناصره، ووقف معه في الشدائد مثل: عمه أبي طالب، وهو على كفره، وكذلك العباس رضي الله عنه كانت له مواقف كبيرة في نصرة الرسول يوم بيعة العقبة الثانية حيث أخذ العهد له من الأنصار، وموقفه يوم حنين حين فاجأهم العدو، وموقف الحمزة رضي الله عنه عندما سبه كفار قريش فكان سبب إسلامه.

كما لقي الأذى من أقرب الناس إليه -عمه أبي لهب وزوجه- فأنزل الله تعالى قوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾ ﴾ [المسد: ١ - ٥]، ويوم كان يعرض نفسه على قبائل العرب يقف على منازل القبائل من العرب، فيقول: يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئًا، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي، وتصدقوا بي، وتمنعوني، حتى أُبَيِن عن الله ما بعثني به، وخلفه عمه أبو لهب يقول لهم: إنما يدعوكم أن تخلعوا اللات والعزى من أعناقكم، فلا تطيعوه، ولا تسمعوا منه[٧٣]، وقد انقسم أعمام الرسول صلى الله عليه وسلم إلى فريقين مؤمن به، وكافر كما قال ابن حجر: "من عجائب الاتفاق أن الذين أدركهم الإسلام من أعمام النبي صلى الله عليه وسلم أربعة لم يسلم منهم اثنان، وأسلم اثنان، وكان اسم من لم يسلم ينافي أسامي المسلمين، وهما أبو طالب واسمه عبد مناف، وأبو لهب، واسمه عبد العزى بخلاف من أسلم، وهما حمزة، والعباس"[٧٤] رضي الله عنهما. ولقد كان الدعم والمساند لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم من أسرته ومحيطه حيث كان لهم

الأثر والدور الكبير في قيام دعوته ونشر رسالته كأمثال عمه أبي طالب، وحمزة، والعباس، وعلي ابن أبي طالب، وابنته فاطمة، وزوجه خديجة، وغيرهم من صحابته وأقاربه، وأل بيته.

المبحث الثالث: المحيط المجتمعي و أثره في دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام:

إن المحيط المجتمعي بالأنبياء والرسل عليهم السلام منه ما يكون مجتمعًا صالحًا معينًا لدعوتهم، ومنه ما هو مجتمعٌ فاسدٌ معيقٌ لدعوتهم، وفيه الاضطهاد الديني والسياسي، والاجتماعي الاقتصادي والأخلاقي كما سيأتي:

المطلب الأول: أنواع المحيط المجتمعي و أثره على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

إن المحيط التي عاش فيه الأنبياء والرسل عليهم السلام مختلف ومتعدد الطباع والأخلاق، فمنه الصالح، ومنه الفاسد، والحق سبحانه وتعالى يرسل رسولًا إلى كل جماعة ليعالج الداءات في كل محيط على حدة(٧٥)، وعلاقة الرّسل عليهم السّلام بأقوامهم علاقة صعبة وشائكة ودقيقة؛ لأنهم قوم عتاة أشداء، وتوارثوا عادات معينة، فألفوا ممارسة الأهواء والشهوات والضلال عن دين الله وحده، والأنبياء والرّسل أصحاب رسالة إصلاحية شاملة عقيدة وشريعة يريدون أن ينقلوا أقوامهم من سوء فعالهم إلى نور المعرفة والإيمان والمدنية، وذلك الانتقال احتاج لجهود كبيرة وتضحية جسيمة، فيقع الصّراع والتّحدي بين النّبي وقومه(٧٦) حتي يفصل الله بين الحق والباطل فكان المحيط على قسمين على النحو الآتي:

أولًا: المحيط الصالح و أثره على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام:

إن المجتمع الصالح فيه أفراد صالحون، وقد يكونون مصلحين مع أنبيائهم، ويشكلون بيئة صالحة، وهم الذين يتواصون بالحق والصبر، وقد أمر الله تعالى باختيار البيئة الطيبة والرفقة الصالحة، فهم أرواح وجنود مجندة، لها تأثيرها العظيم في مجتمعهم قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الكهف: ٢٨]، وهذه الآية تفيد أن الفرد له قدرة على بناء المجتمع الصالح، ولربما له القدرة على التحكم فيه كما للأفراد والجماعات دور إيجابي في بناء شخصيته الفكرية والإيمانية ولذا ألزم الله نبيه الصبر في الجلوس مع هؤلاء وملازمتهم فذلك خير له من الدنيا وزينتها وأهلها، فهم يمثلون بالنسبة له بيئة صالحة، وإن الإعراض عنهم وطاعة الغافلين يمثل البيئة الفاسدة التي عليه تجنبها فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: ٢٨]فالمجتمعات الصالحة المتميزة، فيها أعمال صالحة، وتواصي بالحق وتواصي بالصبر يتلى فيها كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار قال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ

﴿٣﴾ [العصر: ٣]، وفي الحديث: (مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت)(٧٧)، فكان مع موسى عليه السلام الرجل الذي آمن من آل فرعون كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [غافر: ٢٨]، وكذلك من البيئة الصالحة عند قوم الرجل الصالح شعيب في مدين قال تعالى: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [القصص: ٢٥]، والرفقة الصالحة اتخذها عيسى عليه السلام، فلما كثر الإيذاء له من بني إسرائيل وأرادوا به القتل والهلاك فما كان منه إلا أن استنصر بالحواريين قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٢] أي من بني إسرائيل، وأحس(٧٨) معناه علم ووجد ﴿ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ ﴾ أي: الكفر بالله، وقيل: سمع منهم كلمة الكفر، وقال الفراء: أرادوا قتله، وهنالك قال: ﴿ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: استنصر عليهم(٧٩) عندما شعر منهم التصميم على الكفر والاستمرار على الضلال فقال: ﴿ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ والظاهر أنه أراد من أنصاري في الدعوة إلى الله، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مواسم الحج قبل أن يهاجر: من رجل يؤويني حتى أبلغ كلام ربي فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي حتى وجد الأنصار، فأووه ونصروه وهاجر إليهم، فواسوه ومنعوه من الأسود والأحمر رضي الله عنهم وأرضاهم، وهكذا عيسى بن مريم عليه السلام انتدب له طائفة من بني إسرائيل فآمنوا به ووآزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه(٨٠)، وإن الحواريين هم أنصار المسيح وخُلَّص أصحابه وأول من آمن به(٨١)، وقيل: خاصة الأنبياء، سموا بذلك لنقاء قلوبهم(٨٢)، وقيل: النصر العون، والأنصار الأعوان(٨٣)، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لكل نبي حواري وحواري الزبير)(٨٤).

ثانيًا: المحيط الفاسدة و أثره على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام:

إن البيئة الفاسدة فيها أفراد فاسدون هم يمثلون عائقًا أمام الإيمان بدعوة الرسل عليهم السلام، فملكة سبأ قد صدتها الكفر والوثنية عن عبادة الله تعالى ﴿ مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النمل: ٤٣] أي: بيئة فاسدة تعبد الشمس والكواكب من دون الله، ونشأت فيهم، فتأثرت بهم حتى ضلت وانحرفت وكفرت مع رجاحة عقلها، وهذا يدل على تأثير المحيط على

عقيدة العبد سلبًا أو إيجابًا قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٧ – ٢٨]، و"كان عقبة بن أبي معيط خليلًا لأمية بن خلف، فأسلم عقبة، فقال أمية: وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمدًا"[٨٥]، وهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ يَـٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾.

وصُحبة أبي طالب ماذا جنى عليه المحيطين به في اللحظات الأخيرة من حياته فقال: إنه على ملة عبد المطلب، مع شدة حرص النبي صلى الله عليه وسلم على هدايته، وذلك لرد الجميل له يوم أن قام بحمايته ساعة الشدة، والعداء عليه حتى اللحظات الأخيرة من حياته، " وكم جلبت خلطة الناس من نقمة، ودفعت من نعمة، وأنزلت من محنة، وعطلت من منحة، وأحلت من رزية، وأوقعت في بلية، وهل آفة الناس إلا الناس؟ وهل كان على أبي طالب عند الوفاة أضر من قرناء السوء؟ لم يزالوا به حتى حالوا بينه وبين كلمة واحدة توجب له سعادة الأبد"[٨٦]، فللمحيط أثر كبير على محافظة العبد على فطرته وعقيدة وإتباع دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

ثالثًا: المحيط الاضطهادي والاستبدادي، و أثره على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام، وتشمل:

أ. الاضطهاد والاستبداد والفساد الديني و أثره على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

إن قوم عاد كانوا جبارين غلاظًا شدادًا حيث اضطهدوا من خالفهم قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [الشعراء: ١٣٠] قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد الضرب بالسياط ضرب الجبارين، والقتل بالسيف بغير حق، والمعنى: إذا ضربتم ضربتم بالسياط ضرب الجبارين، وإذا عاقبتم قتلتم، ومعنى الجبَّار في هذه الآية القتَّال على الغضب بغير حق، وقال الزجاج: وإنما أنكر عليهم ذلك؛ لأنه ظلم[٨٧]، فهم عتاة غلاظ، يتجبرون حين يبطشون، ولا يتحرجون من القسوة في البطش، شأن المتجبرين المعتزين بالقوة المادية التي يملكون[٨٨].

وزمن موسى عليه السلام زمن الاضطهاد حيث بلغ ذروة الفساد والاستبداد الديني حيث كان بنو إسرائيل يعانون الظلم والاضطهاد من سطوة فرعون فسامهم سوء العذاب، فكان محيطاً دعوياً جائراً ظالماً حي أثَّر على دعوة موسى عليه السلام تأثيرًا شديدًا، ولقد كان جل دعوة موسى عليه السلام بعد التوحيد إنقاذ بني إسرائيل من الذل والهوان الذي لاقوه من فرعون وملائه، وحاول غرس العزة فيهم، والكرامة من جديد من ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المائدة: ٢٤]، فلما قضى الله عليهم

مدة التيه أربعين سنة، وهي: مدة ذهاب جيل كامل حيث ماتوا في الصحراء، وخرج من أبنائهم جيل جديد تربى على الشدة، والقوة والتحمل والصبر والجلد، ومع ذلك: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٍ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يونس: ٨٣]، ولما أغرق الله فرعون وقومه، ونجى موسى وقومه فلما خرجوا من البحر أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، فطلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهًا كما لهم إله كما قال تعالى: ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، فالقوم جبلوا على العناد ومخالفة أمر الله قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ ﴾ [البقرة: ٥٨ - ٥٩]، وهم مستمرون في العناد، والجهالة، والكفر، والبغي، والعدوان.

وهكذا عندما ذهب موسى عليه السلام لمناجاة ربه، وفي أثناء ذلك اتخذوا العجل إلهًا وعكفوا على عبادته قال تعالى عنهم: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ ﴾ [طه: ٨٦]، ولقد كانت بيئة محاطة بالاستكبار، والعلو في الأرض، والعناد، والقوة المادية، والقهر الديني لموسى عليه السلام، ومن معه من المؤمنين مع كثرة الحجج الدامغة والبراهين الساطعة، والبينات الواضحة.

فالمحيط قد يكون محاطاً بأشياء لا يمكن الاستغناء عنها، ويكون محيطاً اجتماعياً سيئاً كما قيل: " كيف يسلم من له زوجة لا ترحمه، وولد لا يعذره، وجار لا يأمنه، وصاحب لا ينصحه، وشريك لا ينصفه، وعدو لا ينام عن معاداته، ونفس أمارة بالسوء، ودنيا متزينة، وهوى مردٍ، وشهوة غالبة له، وغضب قاهر، وشيطان مزين، وضعف مستول عليه، فإن تولاه الله وجذبه إليه انقهرت له هذه كلها، وإن تخلى عنه ووكله إلى نفسه اجتمعت عليه فكانت الهلكة"(٨٩).

ب. الاضطهاد والفساد الاقتصادي و أثره على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام:

إن المحيط الفاسد اقتصاديًا، منه ما يكون عن طريقة عدم الاستهلاك المنظم، أو الإسراف الذي لا فائدة فيه كما حكى الله عن قوم عاد وإسرافهم في البناء: ﴿ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [الشعراء: ١٢٨ - ١٢٩]، تعبثون ببنائها لا حاجة لهم به، بل لمجرد اللعب، واللهو، وإظهار القوة، ولهذا أنكر الله عليهم ذلك؛ لأنه تضييع للزمان، وإتعاب للأبدان في غير فائدة، واشتغال بما هم في غنى عنه، وبما في الشغف به انصراف عن الجد في

العمل، وصرف للأموال في غير ما خلقت له، من النظر للنفس، والأهل، والدين(٩٠)، محيط كله فيه انشغال بالكماليات مما أثر عليهم عدم إتباعهم نبيهم صالح عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٧٤].

وهذا نبي الله شعيب عليه السلام يدعو قومه بعد التوحيد إلى أن يوفوا الكيل والميزان؛ وذلك لأن الغش منتشر وشائع في قومه قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ ﴾ [هود: ٨٤]، وقال الله تعالى عن فرعون: ﴿ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الزخرف: ٥١] أي: لا ينازعني فيه أحد(٩١)، وهذه أنهار النيل تجري من تحت قصوري قال قتادة: تجري بين يدي في جناني، وبساتيني(٩٢) "أفلا تبصرون أيها القوم ما أنا فيه من النعيم والخير، وما فيه موسى من الفقر وعي اللسان، افتخر بملكه مصر"(٩٣) أثر عليهم المحيط الذي هم فيه من النعيم والأنهار والزخارف بعدم متابعة موسى عليه السلام، وأنهم أولى منه بأن يختارهم الله لرسالته.

ويتعرض رسولنا الأكرم وصحابته لأسواء اضطهاد اقتصادي في التاريخ فقد حاصره قومه في شعب أبي طالب سنتين منعوا عنه وقومه كل مقومات الحياة حتى كادوا يهلكون حتى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة، ثم مزقت صحيفة المقاطعة بإذن الله تعالى(٩٤).

ج. الفساد والاستبداد الاجتماعي و أثره على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام:

إن هنالك بعض الفروق بين أهل المدن وأهل البادية كما يقول ابن خلدون: "الإنسان ابن عوائده ومألوفه، لا ابن طبيعته ومزاجه، فالذي ألفه في الأحوال حتى صار خلقًا، وملكة، وعادة تُنزّل منزلة الطبيعة والجبلّة، واعتبر ذلك في الآدميين-يعني تتبعه-تجده كثيرًا صحيحًا، والله يخلق ما يشاء"(٩٥) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل، والسكينة في أهل الغنم"(٩٦)، فيتأثر الإنسان بالبيئة المحيطة به سواء كان إيجابًا أم سلبًا، فالآدمي إذا عاشر نوعًا من الحيوان اكتسب من بعض أخلاقه، ولهذا صارت الخيلاء، والفخر في أهل الإبل، وصارت السكينة في أهل الغنم، وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين هم أقل كفرًا من غيرهم، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى هم أقل إيمانًا من غيرهم، والبيئة تعدي حتى في الطبائع الاجتماعية، وتسري العوائد إلى الداخل الجديد(٩٧)، فالبيئة التي

يضطهد فيها الفرد عادة بسبب الدين، فإنه يزداد صلابة في دينه، بينما البيئة التي فيها المغريات، والشهوات، والشبهات، فهي أكثر إثارةً، واستجابةً للفتن.

هـ. الفساد القيمي والأخلاقي و أثره على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام:

إن قوم لوط عليه السلام انتشرت فيهم الفاحشة حتى جرت فيهم عادة، حيث لم يسبقهم إليها أحد من العالمين، فأصبح نصحهم بعدم ممارسة الفاحشة مثلهم جرمًا يستحق الإخراج من أوساطهم، فلما جاءهم لوط عليه السلام بالدعوة إلى التوحيد، وأنكر عليهم فعلهم المخالف للفطرة قال تعالى: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النمل: ٥٥]، فكان ردهم عليه: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [النمل: ٥٦]، فجعلوا الطهارة ذنبًا عظيمًا وجريمة لا تغتفر، ونظروا إلى العفة أنها من عوامل التخلف عندهم، والإضرار بالمجتمع الذي لابد أن يزال ويفارق بيئتهم، وهذا عندما تنتكس الفطر وتختل الموازين؛ ولذلك حذروه من متابعة نصحه لهم أن يخرجوه من قريتهم كما قال تعالى: ﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [الشعراء: ١٦٧]، وبلغت بهم الجرأة، وقلة الحياء أنهم يأتون الفاحشة ظاهرين أمام الخلق، وفي النوادي بلا أدنى حياء، ولا خوف كما قال تعالى: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، وعندما تسرب إليهم خبر ضيوف لوط عليه السلام من الغلمان المرد -وهم ملائكة- جاؤوا مسرعين؛ ليفعلوا بهم الفاحشة، والعياذ بالله، وقالوا للوط عليه السلام بعدما عرض عليهم الزواج ببناته بالحلال كما أخبر الله تعالى: ﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ ﴾ [هود: ٧٩]، وكأن فعلهم الفاحشة من حقوقهم المسلمة التي لا ينبغي أن ينكر عليهم أو يعارضهم، بل قالوا له: ﴿ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحجر: ٧٠] أي: بعدم تحديث الناس، والجلوس معهم؛ وذلك بشعورهم النقص من وجود المصلح فيهم بادروا لنهيه، وإبعاده من المجتمع؛ لأنه يمثل عليهم حرجًا.

ومن المحيط الأخلاقي الفاسد ما فعلته امرأة الملك بيوسف عليه السلام من قلة الحياء في مراودة يوسف عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ ﴾ [يوسف: ٢٣]، وموافقة نسوة المدينة على ذلك قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [يوسف: ٣٠]، فهي بيئة مترفة فاسدة عاش فيها يوسف عليه السلام ثم أراد الخروج منها ولو إلى السجن.

وأما العرب فساءت أخلاقهم، فأولعوا بالخمر والقمار، وبلغت بهم القساوة والحمية المزعومة إلى وأد البنات، وشاعت فيهم الغارات، وقطع الطرق على القوافل، وسقطت منزلة المرأة، فكانت تورث كما يورث المتاع، أو الدابة، ومن المأكولات ما هو خاص بالذكور، محرم على الإناث، وكان يسوغ للرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء من غير تحديد، وكانت العصبية القبلية والدموية شديدة جامحة، وأغرموا بالحرب، حتى صارت مسلاة لهم، وملهى، وهواية، ينتهزون للتسلية وقضاء هوى النفس نشوب حرب لها مسوغ، أو لا مسوغ لها(٩٨)، ولمّا اندرس معالم الدين القويم في أرض الجزيرة، وترك الناس الملة الحنفية إلا نفرًا قليلًا، واجتالت الشياطينُ البشرَ فتاهوا بين وثنية، ومجوسية، ويهودية، ونصرانية، كما قال صلى الله عليه وسلم: (وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلاّ بقايا من أهل الكتاب)(٩٩). وكانت المرأة عند كثير من القبائل كسقط المتاع، فقد كانت تورث، وكانوا لا يورثون البنات، ولا النساء، ولا الصبيان، ولا يورثون إلا من حاز الغنيمة، وقاتل على ظهور الخيل، وبقي حرمان النساء والصغار من الميراث عرفًا معمولًا به عندهم إلى أن نزل(١٠٠) قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾ [النساء: ٧]، وكان العرب يُعيّرون بالبنات؛ وكثيرًا ما يختارون دسها في التراب عند البشارة بالبنات، ويتم وأدها حية لا ذنب لها إلا أنها أنثى، وقد حدثنا القرآن الكريم عن حالة من تولد له بنت فقال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل: ٥٨ - ٥٩]وكان بعض العرب يقتل أولاده من الفقر أو خشية الفقر، فجاء الإسلام وحرم ذلك قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء: ٣١]، وهذه القضايا الاجتماعية وغيرها مما كان لها الأثر السلبي على دعوته، فقد كانت راسخة في حياتهم الاجتماعية، فيتطلب جهدًا كبيرًا لانتشالها من حياتهم وعادتهم، ووحل جاهليتهم.

المطلب الثاني: التركيب الطبقي والتمايز المجتمعي و أثره على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام:

إن تركيبة البيئات تختلف من محيط نبي إلى محيط نبي آخر، فمن حيث التركية الاجتماعية ظهرت بعض المصطلحات القرآنية -في قصص الأنبياء والرسل عليهم السلام- التي تنبئ اختلافًا في

التركيبة للبيئة المجتمعية مثل: القوم – الملأ – الموالي – القبيلة – العشائر، وهذا يشعر أن هذه طبقات، وفيهم الطبقة الحاكمة، وأن هنالك شعبًا مضطهدًا، وإن الغالب لمن كان حاله من الأقوام بهذه المواصفات أنهم غير متجانسين، وتظهر تصدعات، ومشاكل اجتماعية بفعل التمايز الطبقي على أساس عرقي أو طائفي، أو تتكون طبقات متفاوتة (طبقة الأغنياء والفقراء)؛ لأن المتحكمين والمستبدين بالدين، والأموال والحكم، والسيادة طبقة واحدة، فقد كان الصراع الطبقي من الأوضاع الفاسدة في قوم نوح عليه السلام، وكان الملأ يرفضون الاستجابة لدعوة نوح عليه الصلاة والسلام بحجة أن أتباعه من الفقراء والمساكين قال تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ ﴾ [هود: ٢٧] فلما جاء نوح عليه السلام أنكر عليهم فعلهم ذلك، وأنه لا يريد أن يشاركهم في أموالهم شيئًا كما قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [هود: ٢٩] وأما الملأ من قومي عاد وثمود فقد استخدموا الأبنية الشاهقة؛ ليصدوا الناس عن عبادة الله، فلما أرسل الله هودًا عليه السلام فقال لهم: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الشعراء: ١٢٨] حيث نهاهم عن الأبنية التي لا طائل من ورائها إلا الفخر والتبذير بالأموال، ومن أجل ذلك عادوه وصدوا، ولم يؤمنوا به، "وذلك أنهم كانوا في غاية من قوة التركيب، والقوة والبطش الشديد، والطول المديد، والأرزاق الدارة، والأموال والجنات والعيون، والأبناء والزروع والثمار، وكانوا مع ذلك يعبدون غير الله معه، فبعث الله إليهم رجلًا منهم رسولًا وبشيرًا ونذيرًا، فدعاهم إلى الله وحده، وحذرهم نقمته وعذابه في مخالفته... وإنما تفعلون ذلك عبثًا لا للاحتياج إليه؛ بل لمجرد اللعب واللهو وإظهار القوة؛ ولهذا أنكر عليهم نبيهم، عليه السلام، ذلك؛ لأنه تضييع للزمان وإتعاب للأبدان في غير فائدة، واشتغال بما لا يجدي في الدنيا ولا في الآخرة"[١٠١]. وأن ما قام به صالح عليه السلام من دعوة قومه إلى التوحيد حيث قال لهم: ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [الشعراء: ١٤٩] وقوم ثمود في الناحية الأخلاقية أسرفوا في البذخ، والفساد، وبنوا بيوتًا فارهين، وأطاعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض، ولا يصلحون، وتخلق الملأ منهم بالكبر والغرور حتى دفعهم كبرهم إلى الكفر بالدعوة الإلهية، والسخرية من صالح وأتباعه الضعفاء؛ ولذلك استمروا على الكفر حتى أهلكهم الله بالطاغية[١٠٢]، وقال صالح عليه السلام والحسرة في قلبه على قومه: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٧٩].

وكان فرعون وقومه متصفين بأمرين: الاستكبار والأنفة، وأنهم كانوا قومًا عالين، أي: رفيعي الحال في أمور الدنيا أو في الكثرة والقوة، أي: على جانب من الحضارة، والعلم، والعز، والسلطان، بدليل الواقع التاريخي، وكانت شبهتهم هي قولهم: ﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ٤٧] أي: قال فرعون وملؤه أي: أشراف قومه كيف ننقاد لأمر موسى وأخيه هارون، وقومهما بنو إسرائيل خدمنا وعبيدنا المنقادون لأوامرنا؟! أي: أن الرسالة تتنافى مع البشرية، وأن قوم موسى وهارون أتباع أذلة لفرعون وقومه، وهكذا شأن الماديين لا يؤمنون بالقوى المعنوية، ويقيسون عزة النبوة وتبليغ الوحي عن الله على الرياسة أو الزعامة الدنيوية المعتمدة على الجاه والمال[١٠٣].

وكذلك ظهر التمايز الطبقي من حيث التعليم فهنالك الطبقة المتعلمة، والطبقة الأمية، ومن ذلك تفاخر اليهود والنصارى -أنهم أهل الكتاب- على العرب أنهم أميون، وقد أمر الله كل أصحاب النحل والملل بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ ﴾ [النحل: ٣٦]، "فانقسمت الأمم بحسب استجابتها لدعوة الرسل، وعدمها قسمين: كما قال تعالى: ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ ﴾ أي: فاتبعوا المرسلين علمًا، وعملًا والقسم الثاني كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ أي: فاتبع سبيل الغي"[١٠٤]، وكانت اليهود تتوعد العرب إن جاء منهم نبي يقاتلونهم، وكذلك يريدون أن تكون كل الديانات والطوائف والملل والنحل خدم لهم؛ لأنهم شعب الله المختار، وأبناء الله، وأحباؤه.

ومن التمايز الطبقي انقسم أقوام الأنبياء إلى مؤمنين وهم القلة القليلة، وكافرين وهم الكثرة الكاثرة المستمرين على ظلمهم، وكفرهم كما قال تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ۚ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [هود: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٧]، وقال تعالى عن هود عليه السلام وقومه: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [هود: ٥٧ - ٥٨]، وقال عن قوم صالح عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾ [هود:

٦٦]، إن الأمم انقسمت إلى فرق وطوائف، فثمود قوم صالح عليه السلام انقسموا إلى قسمين: قسم آمن بصالح عليه السلام وبرسالته وأخذوا يدافعون بالحجج والبراهين عنه وعن الدين الذي جاء به، وقسم كفر، وعاند، واستمر في اللجاج والضلال قال تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ٤٧ ﴾ [النمل: ٤٧] وانقسام قوم شعيب عليه السلام إلى طوائف وفرق منهم المؤمن ومنهم الكافر قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٧ ﴾ [الأعراف: ٨٧].

وكذلك تفرق اليهود في دينهم إلى طوائف وفرق شتى كما أخبر الله تعالى: ﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤ ﴾ [الصف: ١٤] ووصل بهم الافتراق إلى فرق وطوائف متشاكسة، ومتناحرة، فأيد الله المؤمنين عليهم بالحجة والبرهان، ومن دلالة الانقسام فيما بينهم اختلاف الفرق في التعبير عن العدد في أيام دخول النار بحسب الذنوب بزعمهم كما قال تعالى عنهم: ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ ﴾ [البقرة: ٨٠]، وقالت فرقة أخرى في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ ﴾ [آل عمران: ٢٤] أي: أنهم فرق وكل فرقة قالت عدد معين في دخولهم النار "معدودات جمع قلّة وهي تفيد القلّة، وأما معدودة فهي جمع كثرة وهي أكثر من معدودات"(١٠٥)، كما رد الله عليهم بقوله: ﴿ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠ ﴾ [البقرة: ٨٠]، ورد عليهم أيضًا بقوله تعالى: ﴿ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤ ﴾ [آل عمران: ٢٤].

وقد أشار الله إلى انقسام النصارى قوم عيسى بن مريم عليه السلام إلى فرق وجماعات، وحصل لهم اللعن والطرد كما في قوله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ ﴾ [المائدة: ٧٨ - ٧٩] حتى وصل الحال بأهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى اختلاف التضاد حيث ادعى كل منهما الأحقية في اتباع دين إبراهيم عليه السلام كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ ﴾ [البقرة: ١١٣]، والأحقية بالجنة على من سواهم كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ ﴾ [البقرة: ١١١]، والأحقية بالله تعالى كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ ﴾ [المائدة: ١٨].

والانقسام في هذه الأمة حاصل كما هو في الأمم السابقة حيث أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) (١٠٦)، وكما هو مشاهد ومعاين انقسمت هذه الأمة الواحدة إلى أمم ودول وطوائف وأحزاب، وجماعات، وقوميات، وعرقيات حتى أقاموا فيما بينهم الولاء والبراء مما أثر على دعوة الإسلام وكان له الأثر السلبي على الأمم الكافرة والدخول في دين الله تعالى.

المبحث الر ابع: طبيعة التفكير السائد في المحيط المجتمعي و أثره على دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام:

إن التفكير يختلف من قوم إلى قوم ومن شخص إلى آخر، وخلق الله تعالى العقول متفاوتة في التفكير، ومع هذا يغلب على قوم تفكير معين في أمة من الأمم، وقد يجتمع في قوم تفكيران في آن واحد أو أكثر إما لاختلاف الناس أو المؤثرات الخارجية، وقد يجتمع تفكير واحد في عدة أقوام، إما لقرب المدة الزمنية، أو توارث الطبائع والأقوام.

سلك بعض الأقوام في تفكيرهم التفكير التقليدي وهو عدم خروجهم عن المألوف في حياتهم حتى لو كان باطلًا رغم إقامة الحجج والبراهين عليهم وهو سمة بارزة في الأقوام الذين قلدوا الآباء والأجداد مثل: قوم إبراهيم عليه السلام، وأتباع فرعون، وكفار قريش وغيرهم.

وتفكير حسي سمعي مثل قوم إبراهيم عليه السلام يظهر من خلال تقليدهم الآباء والأجداد في العبادة كما قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٠ - ٧٤]، وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥٢، ٥٣]، "فحادوا كما ترى عن الجواب القاطع المورد مورد السؤال إلى الاستمساك بتقليد الآباء"(١٠٧)، وقال الله تعالى عن أتباع فرعون: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [يونس: ٧٨].

وتفكير عقلي جدلي وهم الأقوام الذين ملكوا قوة الحوار والجدال واللجاج مع أنبيائهم، فأهل الحضر في الغالب عندهم تفكير عقلي عالٍ، ولكن بسبب رغد العيش يصابون بالغرور والكبر والاستخفاف بالآخرين، وطبيعة التمدن أنهم أصحاب حضارة، يتصورون أنهم الجديرون بقيادة العالم، وينظرون إلى من يخالفهم بنظرة دونية وعدم اعتبار مثل الأغنياء من قوم نوح عليه السلام، وهم الملأ الذين تمتعوا بعقلية جدلية لنوح عليه السلام، مكنهم من الجدل والحوار،

وجعلهم يتيهون به استعلاءً وتكبرًا، وصوروا أنفسهم أنهم أعظم من الفقراء شأنًا، ومقامًا، وبعد الحوار والجدال الطويل معه وعجزهم أن يقابلوا الحجج بالحجج، قالو: ﴿ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا ﴾ [هود: ٣٢] طلبوا من نوح عليه السلام أنهم يؤمنون بشرط طرده للفقراء من حوله قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [الشعراء: ١١١]، فقال لهم: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [الشعراء: ١١٤]، ومدح الله تعالى قوم ثمود لما كانوا يتمتعون به من طاقة عقلية متقدمة قال تعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَـٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [العنكبوت: ٣٨] أي: عقلاء متمكنين من النظر والافتكار، ولكنهم لم يفعلوا[١٠٨]، وكذا تمييز الحق من الباطل[١٠٩]، وقال الفراء: كانوا عقلاء ذوي بصائر[١١٠]، وقيل: المعنى كانوا مستبصرين في كفرهم وضلالتهم معجبين بها يحسبون أنهم على هدى ويرون أن أمرهم حق فوصفهم بالاستبصار على هذا باعتبار ما عند أنفسهم[١١١]، ولكن كما قال تعالى: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ﴾ أي: لعب بعقولهم، وأشغلهم عن البحث، والنظر في الأمور وعواقبها، لكنهم أحبوا الرفاهية واللهو والعبث بلا خجل، حيث تخلقوا بالكبر والغرور والإفساد، وتخيلوا أنفسهم فوق الناس، وأعطوا عقلهم فوق قدراتهم، ولما جاءهم صالح عليه السلام لم يستفيدوا منه، ولم يستجيبوا، وظلوا على غيهم وطغيانهم.

وتفكير قوم لوط عليه السلام تفكير حسي حيواني حيث جعلوا جل تفكيرهم إشباع الغريزة الجنسية حتى تعدوها إلى مخالفة الفطرة السليمة؛ وذلك بإتيان الذكور وترك النساء كما قال تعالى: ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ ﴾ [هود: ٧٨ - ٧٩]، وقال تعالى: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [الشعراء: ١٦٥ - ١٦٦] بل قاموا بتهديد لوط عليه السلام بالطرد والإخراج من قريتهم إن حال بينهم وبين ما يشتهون كما قال تعالى: ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [الشعراء: ١٦٧ - ١٦٨].

وتفكير قوم شعيب عليه السلام تفكير حسي ملموس حيث هربوا من الحر في الصحراء حتى تجمعوا تحت شجرة على أنها أقل حرارة، ولم يعلموا أنه عذاب الله تعالى، وكذلك عندما رأوا السحاب ظنوا أنه مطر وهو عذاب الله تعالى عليهم قال تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ ﴾

[الشعراء: ١٨٩] بعث الله عليهم حرًا شديدًا، فأخذ بأنفاسهم، فدخلوا البيوت، فدخل عليهم أجواف البيوت، فأخذ بأنفاسهم، فخرجوا من البيوت هربًا إلى البرية، فبعث الله عليهم سحابة، فأظلتهم من الشمس، فوجدوا لها بردًا ولذةً، فنادى بعضهم بعضًا، حتى إذا اجتمعوا تحتها، أرسلها الله عليهم نارًا(١١٢).

وإن تفكير فرعون ومن معه تفكير خرافي اسطوري حيث جعله يجمع السحرة من أرجاء المعمورة لمغالبة موسى عليه السلام كما قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٣٦ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ٣٧ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٣٨ ﴾ [الشعراء: ٣٦ - ٣٨]، وهذا الغالب على الأقوام الذين استفحل السحر فيهم، وتمكن من قلوبهم، فأصبحوا يرمون الأنبياء بالسحر، فأثر الملأ على من بعدهم بعدم قبول دعوة الأنبياء بهذه الدعوى الباطلة.

و تفكير الأنظمة الدكتاتورية المعروف بالخرافي، وهو في الوقت نفسه تفكير استبدادي سلطوي، وهو الذي يفرض سلطته على الآخرين، وصل إلى حد الشعور بالألوهية كما فعل فرعون الذي ادعى الربوبية كما قال تعالى: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤ ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣٨ ﴾ [القصص: ٣٨]، فإذا بهم يطيعونه، ويصدقونه في كذبه ودجله وخرافته كما قال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ ﴾ [الزخرف: ٥٤]، ومثلهم كان تفكير كفار قريش الذي قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٢ ﴾ [الأنفال: ٣٢]، فهذا تفكير استبدادي حتى لو ظهر الحق مع الرسول فلم يتبعوه، حيث قالوا: إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء؛ ولكنهم عدلوا بذلك كبرًا وعنادًا، والأصل أنه إذا بان لهم الحق أن يقولوا: فاهدنا، ومثلهم الذين عاندوا وطلبوا المعجزات والبينات ثم لم يؤمنوا، وإنما استكبار، واستبداد برأيهم فحسب.

وتفكير شوروي جمعي مثل تفكير الملك في عهد يوسف عليه السلام ومملكة سليمان عليه السلام وذلك بمحاولة الجماعة تقريب وجهات النظر للآخرين؛ ليخرجوا بقرار واحد من باب تحمل التبعات على الجميع، وكذا ملكة قوم سبأ بلقيس وهي من قوم سليمان عليهم السلام تفكيرها شوروي والعقل الجمعي كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ٣٢ ﴾ [النمل: ٣٢].

كذلك قوم زكريا عليه السلام عندما تشاوروا من يكفل مريم عليها السلام حيث اجتمعوا وفعلوا القرعة حتى لا يحصل الاختلاف فيما بينهم كما قال تعالى: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آل عمران: ٤٤]، وهذه قضية استخدموا فيها الشورى حتى يقطعوا الخلاف، فأجريت القرعة، فكانت من نصيب زكريا عليه السلام، وكذلك ما فعله قوم يونس عليه السلام يوم أن اضطربت السفينة فتمت المشاورة على أن يفعلوا قرعة يرمون به فكانت تطلع على نبي الله يونس عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [الصافات: ١٣٩ - ١٤٢].

وتفكير اليهود عنصري- انتخابي بمثابة يجعلون أنفسهم سادة البشر، والأخرين عبيدًا لهم، وأنهم أبناء الله، وأحباؤه كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [المائدة: ١٨]، وحتى دخول الجنة جعلوها خاصة بهم، ولا يدخلها أحد غيرهم كما قال تعالى عنهم: ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ [البقرة: ١١١]، وكذلك كان تفكيرهم مادياً حسياً حيث لم يؤمنوا إلا بالمشاهدة المحسوسة كما طلب بنو إسرائيل عبادة العجل، وطلبوا أن يكون لهم إلهًا، وطلبوا أن يروا الله جهرة قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٨] حتى إنهم قالوا لموسى عليه السلام: ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [البقرة: ٥٥]، وطلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابًا من السماء قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ ﴾ [النساء: ١٥٣] يريدون شيئًا محسوسًا ملموسًا لغلبة الجانب الحسي عليهم، وقال الشعراوي: "نجد أن كل المعجزات قد جاءت معجزات كونية، أي: معجزات مادية حسية الذي يراها يؤمن بها، فالذي رأى عصا موسى عليه السلام وهي تضرب البحر فانفلق، هذه معجزة مادية آمن بها قوم موسى عليه السلام، والذي رأى عيسى عليه السلام يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله، فقد شهد المعجزة المادية، وآمن بها"(١١٣)، وقال الله عنهم: ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [المائدة: ١١٢]، ويبدو أن غلبة الجانب المادي، والجدل الكلامي سمة أهل الكتاب؛

ولذلك كانت معجزات موسى وعيسى عليهما السلام لهم حسية، وكثر الحوار والجدل مع موسى عليه السلام؛ فلقد جُبلوا على المادية، وألفوها، وتعلقوا بها؛ ولذلك طلبوا من موسى عليه السلام أن يصنع لهم صنمًا يعبدونه، ويلازمونه، ويرونه، وهم يعبدون، وطلبوا أن يروا الله جهرة، وعبدوا العجل الذي صنعه السامريّ(١١٤).

وتفكير مصلحي وهم من رفضوا اتباع الأنبياء عليهم السلام كقوم نوح وصالح عليهما السلام؛ بسبب أن اتباعهم من الضعفاء، ويخافون أن يشاركوهم في المصالح الدنيوية، وسحرة فرعون في بداية الأمر كما قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١١٣]، وبعض كفار قريش عندما قالوا: للرسول صلى الله عليه وسلم: لمن الأمر بعدك؟ كما جاء في السير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: فقال له عامر بن الطفيل: ما تجعل لي يا محمد إن أسلمت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم) قال عامر: أتجعل لي الأمر بعدك إن أسلمت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس ذلك لك ولا لقومك ولكن لك أعنّة الخيل)(١١٥)، وفي رواية أن عامر بن الطفيل خير الرسول بين ثلاث خصال فقال: يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر أو أكون خليفتك أو أغزوك بأهل غطفان بألف وألف فطعن عامر في بيت أم فلان فقال غدة كغدة البكر في بيت امرأة من آل فلان ائتوني بفرسي فمات على ظهر فرسه(١١٦)، وجاء عنه أيضًا أنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل بمكة، ويعدهم الظهور، فإذا قالوا: لمن الملك بعدك؟ فأمسك، ولم يخبرهم بشيء؛ لأنه لم يؤمر في ذلك بشيء حتى نزل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزخرف: ٤٤]، فكان بعد ذلك إذا سئل، فقال: لقريش، فلا يجيبونه، وقبلته الأنصار على ذلك(١١٧)، وعندما شاء الله أن تنتشر دعوة الإسلام جاء الناس إلى مكة، ومعهم الأوس والخزرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يذهب إليهم وأعلنوا مبايعته والإيمان برسالته، ونشر دعوته دون أن يطلب منهم ذلك ثم دعوه ليعيش بينهم في دار الإيمان(١١٨)، وكذلك في الأقوام الذين همهم جمع المال، والتفاخر بها لا يهمهم أهي حلال أم حرام؟ كقوم شعيب عليه السلام.

إن الله تعالى يذم كفار قريش على تقليدهم آباءهم بدون برهان، ولا خبر سماوي كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٠]، وقال تعالى: ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٢] "فرجعوا عن جواب ما ألزموا إلى التقليد فقال الله تعالى: ﴿ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم

بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٤]، فأجابوا بمجرد الإنكار؛ ركونًا إلى ما ذكروا من التقليد، لا بجواب السؤال"(١١٩)،

وكذلك يغلب على العرب الجهل والأمية، مما أثر على تفكيرهم حيث جمدوا على تقليد القديم - وإن كان باطلًا-حيث كانت أمة العرب لا تكتب، ولا تحسب، وهذه الصفة التي كانت غالبة عليهم، وكان فيهم قليل ممن يكتب ويقرأ، ومع أميتهم، وعدم اتساع معارفهم(١٢٠)، بل كان هذا التعليم هو السمة الغالبة على جميع الأمم السابقة كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٣]، وهكذا يكشفون حقيقة موقفهم، فقد كانوا يقلدون آباءهم، والتقليد يريح المقلِّد، فلا يُعْمِل عقله أو فكره في شيء ليقتنع به، ويبني عليه سلوكه(١٢١) وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين.

الخاتمة وفيها، أهم النتائج والتوصيات.

أولًا: النتائج:

وفقًا للمنهج الذي رسمناه في بداية هذا البحث والسير في إعداد هذا الموضوع عبر مباحثه ومطالبه، فإن البحث قد أوصلنا إلى جملة من النتائج والتوصيات يمكن أبرازها على النحو الآتي:

١. يتكون المحيط المجتمعي من الأسرة وهم الآباء والأبناء والأقارب من أخوة وأعمام وغيرهم-، والمجتمع، وهما ميدان دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام، وبيئتهم التي أثرت في دعوتهم.

٢. ويختلف التعامل الأسري من أقارب الأنبياء، فبعضهم وقف موقفًا إيجابيًا، والآخر موقفًا سلبيًا.

٣. حصلت اختلالات أسرية في بعض البيئات من الحسد والبغضاء، ولربما وصل بهم الحال إلى القتل كأولاد آدم عليه السلام، أو التغييب القسري كما مارس ذلك أخوة يوسف عليه السلام، وفساد بعض أفراد الأسرة كابن نوح عليه السلام، وبعض النساء كامرأة نوح ولوط عليهما السلام.

٤. إن بيئات الأقوام التي بعث فيهم الأنبياء عليهم السلام تنوعت من بيئة صالحة، وبيئة فاسدة، وبيئة اضطهادية، وتنوعت الأخيرة إلى اضطهاد واستبدادي ديني، أو اجتماعي أو أخلاقي قيمي، أو اقتصادي، وقد أثرت على دعوة النبي وحياته الدعوية إيجابًا وسلبًا.

٥. وكان لتنوع طبيعة تفكير أقوام الأنبياء أثرٌ كبيرٌ في دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

ثانيًا: التوصيات:

١. إعطاء أولوية للدراسات الدعوية المتعلقة بحياة الأنبياء والرسل عليهم السلام، واستلهام الدروس والعبر من ذلك.

٢. الاهتمام بالدراسات القرآنية والاستفادة منها في معالجة المشكلات المجتمعية في الأسرة، والمجتمع الواحد في عالمنا المعاصر.

هوامش البحث:

---

(١) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس (١٩/ ٢٢٠)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة (١/٥٨٢- ٥٨٥).

(٢) الفروق اللغوية (ص: ٤٨٧).

(٣) المداخل المعاصرة للخدمة الاجتماعية في مجال البيئة (١).

(٤) ينظر: مقاييس اللغة (١/ ٤٧٩)، وتاج العروس (٢٠/ ٤٥٤)، ولسان العرب (١/ ٦٨٠)، والقاموس المحيط (٧١٠)، والمعجم الوسيط (١/ ١٣٦).

(٥) ينظر: لسان العرب (٢/ ١٠٦٣).

(٦) ينظر: موضوع تعبير عن المجتمع على الرابط: https://mofhras.com/%D9%85%D9.

(٧) ينظر: المدخل إلى التربية والتعليم (١٧٩).

(٨) ينظر: أثر البيئة الاجتماعية على الدعوة (٣٢).

(٩) ينظر: مختار الصحاح (١٠٥).

(١٠) ينظر: الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم (٢٧).

(١١) ينظر: مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر (٢١).

(١٢) ينظر: المدخل إلى علم الدعوة، لمحمد البيانوني (١٧).

(١٣) ينظر: كتاب العين (٨/ ٢٣٦)، ومقاييس اللغة (١/ ٥٣)، والصحاح تاج اللغة (٢/ ٥٧٤- ٥٧٥).

(١٤) ينظر: التعريفات (٩).

(١٥) التعريفات الفقهية (١٦).

(١٦) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (٢٢/ ٩٥).

(17) صحيح البخاري (١/ ١٣٢) برقم (٦٥٦)، و(١٨٨٧).

(١٨) ينظر: التعريفات (٩)، ومفردات غريب القرآن(٩)، والتعريفات الفقهية (١١).

(١٩) ينظر: لسان العرب (١/ ٧٧)، وجمهرة اللغة (٢/ ١٠٦٥)، والقاموس المحيط (٣٤٣).

(٢٠) ينظر: المعجم الوسيط (١/ ١٧)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٩١).

(٢١) ينظر: معالم الأسرة المسلمة في القرآن الكريم، لشيرين زهير أبو عبدو (١٤).

(٢٢) نظام الأسرة في الإسلام لـ د/ محمد عقلة (٨/١).

(٢٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٨٤).

(٢٤) صحيح البخاري (٣/ ١٢١٢) برقم (٣١٥٢)، وصحيح مسلم (٤/ ١٧٩) برقم(٣٦٤٢).

(٢٥) البداية والنهاية (١/ ١٨١).

(٢٦) ينظر: مجموع الفوائد واقتناص الأوابد (٥٣).

(٢٧) ينظر: تفسير المنار (٨/ ٣١١).

(٢٨) ينظر: التحرير والتنوير(١٦/ ٣٢٦- ٣٢٧).
(٢٩) الإفصاح عن معاني الصحاح (٧/ ٢٣٠).
(٣٠) ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٥٠٤)، وجامع الأصول (١٠/ ٣٢٦).
(٣١) ينظر: تفسير المراغي (٣/ ١٤٢).
(٣٢) صحيح البخاري (٣/ ١٢١٢) برقم (٣١٥٢)، وصحيح مسلم (٤/ ١٧٩) برقم(٣٦٤٢).
(٣٣) فتح الباري، لابن حجر (٦/ ٣٦٨).
(٣٤) ينظر: محاسن التأويل (٧/ ٩٠)، والتفسير الوسيط، لطنطاوي (٤/ ٩٥).
(٣٥) ينظر: في ظلال القرآن (١/ ٢٣٥).
(٣٦) يشير إلى حديث: (لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها وذلك لأنه أول من سن القتل) في صحيح البخاري (٤/ ١٣٨) برقم (٣٣٣٥)، وصحيح مسلم (٣/ ١٣٠٣) برقم (١٦٧٧).
(٣٧) ينظر: في ظلال القرآن (٦/ ٣٦٢١).
(٣٨) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة (٨/ ٢٥٦).
(٣٩) ينظر: التفسير الوسيط -مجمع البحوث (١٠/ ١٤٩٤).
(٤٠) ينظر: روح المعاني (٦/ ٢٥٦).
(٤١) ينظر: في ظلال القرآن (٦/ ٣٦٢١).
(٤٢) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (١٥/ ٣١٥).
(٤٣) أي: الرحم المشتبكة المتصلة. ينظر: لسان العرب (٢/ ٣٩٩).
(٤٤) ينظر: في ظلال القرآن (٤/ ١٨٧٨).
(٤٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ١٩٠).
(٤٦) ينظر: تفسير الماتريدي (٤/ ٤٩٠).
(٤٧) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٤٨).
(٤٨) فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام (١١).
(٤٩) ينظر: تفسير الماتريدي (٨/ ٢٥).
(٥٠) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (٩/ ٤٥).
(٥١) ينظر: بحر العلوم (٢/ ٣٧٧)، وأنوار التنزيل (٤/ ١٣)، والتفسير الوسيط، لطنطاوي (٩/ ٤٥).
(٥٢) ينظر: النكت والعيون (٣/ ٣٩٥)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٣٥٨).
(٥٣) تفسير فتح القدير (٣/ ٣٥٧).
(٥٤) ينظر: تفسير الماتريدي (٨/ ٢٥).
(٥٥) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (٩/ ٤٥).
(٥٦) ينظر: التفسير الوسيط، للزحيلي (٢/ ١٥١٦).
(٥٧) معترك الأقران في إعجاز القرآن (٣/ ٣٢٤).

(٥٨) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي)١٨/ ٥١(.
(٥٩) محاسن التأويل (٧/ ١٢٤).
(٦٠) ينظر: روح المعاني (٨/ ٥٢٦).
(٦١) تفسير القرآن العظيم (١٠/ ٤٦١).
(٦٢) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (١٨/ ٥٠٦-٥٠٧).
(٦٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٩/ ٤٣٠).
(٦٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٥٢٩).
(٦٥) ينظر: روح المعاني (٢٣ / ٢٠٧).
(٦٦) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (٩/ ٢٤١).
(٦٧) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (٢/ ٥٣١).
(٦٨) ينظر: التيسير في القراءات السبع (ص: ٨٧).
(٦٩) ينظر: بحر العلوم (١/ ٢٠٩).
(٧٠) ينظر: المحرر الوجيز (١/ ٤٢٥).
(٧١) صحيح البخاري (٣/ ١٤١٠) برقم (٣٦٧٤).
(٧٢) التفسير الوسيط - مجمع البحوث (١٠/ ١٤٩٤).
(٧٣) ينظر: السيرة النبوية، لابن هشام (١/ ٤٢٣).
(٧٤) فتح الباري، لابن حجر (٧/ ١٩٦).
(٧٥) تفسير الشعراوي (٥/ ٢٧٦٨).
(٧٦) ينظر: التفسير الوسيط، للزحيلى (٢/ ١١٦٦).
(٧٧) صحيح مسلم (٢/ ١٨٨) برقم (١٧٧٣).
(٧٨) وأصل الحس وجود الشيء بالحاسة، والإحساس: العلم بالشيء، قال تعالى: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾ [مريم: ٩٨] ويأتي بمعنى القتل، قال تعالى: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾ [آل عمران:١٥٢].ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٩٧).
(٧٩) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٩٧).
(٨٠) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٦٧).
(٨١) ينظر: تفسير فتح القدير (٥/ ٢٢٣).
(٨٢) ينظر: النكت والعيون (١/ ٣٩٦).
(٨٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٨٠).
(٨٤) صحيح البخاري (٣/ ١٠٤٦) برقم (٢٦٩١)، وصحيح مسلم (٧/ ١٢٧) برقم (٦٣٢٢).
(٨٥) جامع البيان في تأويل آي القرآن (١٩/ ٢٦٢).
(٨٦) مدارج السالكين (١/ ٤٥٣).
(٨٧) التفسير الوسيط، للواحدي (٣/ ٣٥٩).

(٨٨) ينظر: في ظلال القرآن (٥/ ٢٦١٠).

(٨٩) الفوائد، لابن القيم (٤٨).

(٩٠) ينظر: محاسن التأويل (٧/ ٤٦٧).

(٩١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٩٨).

(٩٢) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (٧/ ٢١٧).

(٩٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن (٢١/ ٦١٧).

(٩٤) ينظر: السيرة النبوية، لابن هشام (١/ ٣٧٤).

(٩٥) تاريخ ابن خلدون (١/١٥٦).

(٩٦) صحيح البخاري (٣/ ١٢٨٩) برقم (٣٣٠٨)، وصحيح مسلم (١/ ٥٢) برقم (٩٧).

(٩٧) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢٢٠).

(٩٨) ينظر: السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي (ص: ٧٨).

(٩٩) صحيح مسلم (٨/ ١٥٨) برقم (٧٣٠٩).

(١٠٠) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢١٩).

(١٠١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٥٢).

(١٠٢) ينظر: دعوة الرسل عليهم السلام (٩٥).

(١٠٣) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة (١٨/ ٥٠).

(١٠٤) تيسير الكريم الرحمن (٤٤٠).

(١٠٥) لمسات بيانية - السامرائي (٥٤٨)

(١٠٦) سنن أبي داود (٧/ ٥) برقم(٤٥٩٦)، وصحيح سنن الترمذي (٥/ ٢٥) برقم (٢٦٤٠)، وقال فيه الألباني: حسن صحيح، وسنن ابن ماجه (٥/ ١٢٨) برقم(٣٩٩١)، وقال فيه شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(١٠٧) الاعتصام، للشاطبي (٢٥).

(١٠٨) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل (٣/ ٤٥٨).

(١٠٩) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٦٧٦).

(١١٠) ينظر: معاني القرآن (٢ / ٢١٣).

(١١١) ينظر: تفسير فتح القدير (٤/ ٢٠٢).

(١١٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن (١٩/ ٣٩٤).

(١١٣) تفسير الشعراوي (٢/ ١٠٧٢).

(١١٤) دعوة الرسل عليهم السلام (٢٨٣- ٢٨٤).

(١١٥) المعجم الأوسط (٩/ ٦١) برقم (٩١٢٧)، المعجم الكبير للطبراني (١٠/ ٣١٢) برقم (١٠٧٦٠)

(١١٦) صحيح البخاري (٥/ ١٠٥) رقم (٤٠٩١).

(١١٧) ينظر: الكشف والبيان (٨/ ٣٣٦)، والمحرر الوجيز (٥/ ٥٧)، وتفسير فتح القدير (٤/ ٥٥٨).

(١١٨) ينظر: تفسير الشعراوي (١/ ٤٥٥).

(١١٩) المرجع السابق (٢٥).

(١٢٠) ينظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (١/ ٩٣).

(١٢١) ينظر: تفسير الشعراوي (١٠/ ٦١٣٧).

المصادر والمراجع:

١. أضواء البيان، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) دار الفكر للطباعة، بيروت – لبنان عام ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢. الاعتصام، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، تح: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣. الإفصاح عن معاني الصحاح، المؤلف: يحيى بن (هُبَيْرَة بن) محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، (ت: ٥٦٠هـ)، تح: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، عام ١٤١٧هـ.

٤. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تح: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية – القاهرة، ط٢، ١٣٦٩هـ.

٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٦. بحر العلوم، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تح: د.محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت.

٧. البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٨. تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تح: مجموعة، دار الهداية.

٩. تاريخ ابن خلدون، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون الإشبيلي (ت: ٨٠٨هـ)، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

١٠. التحرير والتنوير، لابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، ١٩٩٧م.

١١. تفسير البحر المحيط، المؤلف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وغيره، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

١٢. تفسير الراغب الأصفهاني، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تح: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

١٣. تفسير الشعراوي محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم.

١٤. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.

١٥. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٠م.

١٦. تفسير القرآن العظيم جزء عم المؤلف: عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن بن قاسم العاصمي دار القاسم للنشر، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩م.

١٧. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٨. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تح: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥م.

١٩. تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

٢٠. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: وهبة بن مصطفى الزحيلى، دار الفكر المعاصر، مكان الطبع : بيروت دمشق، ١٤١٨هـ.

٢١. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط١، عام١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٢٢. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ط١.

٢٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٤. التيسير في القراءات السبع، المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ) تح: اوتو تريزل، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٢٥. جامع الأصول في أحاديث الرسول، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت : ٦٠٦هـ)، تح: عبد القادر الأرنؤوط - التتمة، مكتبة الحلواني، ط١.

٢٦. جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٧. الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تح: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢٨. الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٩. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تح: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

٣٠. جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
٣١. دعوة الرسل عليهم السلام، المؤلف: أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٣٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٣٣. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد،المؤلف: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت: ٩٤٢هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وغيره، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.
٣٤. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت: ١٤٠٣هـ)، دار القلم – دمشق، ط٨، ١٤٢٧هـ.
٣٥. السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ)، تح: مصطفى السقا وآخرون بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م.
٣٦. السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، المؤلف: علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (ت: ١٤٢٠هـ)، دار ابن كثير – دمشق، ط١٢ عام ١٤٢٥ هـ.
٣٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ) تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.
٣٨. صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي.
٣٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
٤٠. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، المؤلف : محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر – بيروت.
٤١. الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٣٩٣ هـ- ١٩٧٣م.
٤٢. في ظلال القرآن، المؤلف: سيد قطب إبراهيم، دار الشروق، القاهرة.
٤٣. القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تح: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.
٤٤. قصص الأنبياء، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: ٧٧٤هـ)، تح: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف القاهرة، ط١، ١٣٨٨ هـ- ١٩٦٨م.
٤٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لمؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣ - ١٤٠٧هـ.
٤٦. كشف المشكل من حديث الصحيحين، المؤلف: أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، دار الوطن - الرياض - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٤٧. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت: ٤٢٧ هـ)، تح: عدد من الباحثين، دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م.
٤٨. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على ابن منظور (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
٤٩. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، المؤلف: فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط٣، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.
٥٠. محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، تح: محمد باسل عيون، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ - ١٤١٨هـ.
٥١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ - ١٤٢٢ هـ.
٥٢. مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٥٣. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
٥٤. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، تح وتخ: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٥٥. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تح: مجموعة ، دار الجيل، بيروت الطبعة: مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في إستانبول سنة ١٣٣٤هـ.
٥٦. معاني القرآن، المؤلف: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت: ٣٣٨هـ)، تح: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المرمة، ط١، ١٤٠٩هـ.
٥٧. معترك الأقران في إعجاز القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨م.
٥٨. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار (ت: ١٤٢٤هـ)، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
٥٩. المعجم الوسيط، المؤلف: إبراهيم مصطفى. أحمد الزيات. حامد عبد القادر. محمد النجار، دار الدعوة، تح: مجمع اللغة العربية.
٦٠. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
٦١. موضوع تعبير عن المجتمع على الرابط: https://mofhras.com/%D9%85%D9.

٦٢. نظام الأسرة في الإسلام، المؤلف: د/ محمد عقلة، مكتبة الرسالة، عمان، ط١، عام ١٤٠٣م- ١٩٨٣م.
٦٣. النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)،تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
٦٤. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تح وتع: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٤م.